

السِّيَرَةُ السَّكِينَةُ
أَيُّهَا الرِّعَاةُ الشَّهِيدَةُ فِي عَهْدِ اللَّهِ الْحَبِيبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

Books.Rafed.net



books.rafed.net

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٢م - ٢٠٠١م

دار الأضواء للنشر والتوزيع
ت: ٢٧٠٨٧٣ - ف: ٢٧١٦٨٥ - بيروت - لبنان
ص: ٢٥/٤٠ - غبيغب
Books.Rafed.net



السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ الْمُقَرَّمُ

السِّيَرَةُ السَّكِينَةُ

أَبْنَةُ إِمَامِ الشَّهِيدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ



Books.Rafed.net

دار الإحسان

بَیروت - لُبْنان



books.rafed.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



Books.Rafed.net



books.rafed.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دأبت دار الأضواء منذ تأسيسها عام ١٩٨٠ على نشر التراث الإسلامي فكراً وعقيدةً وتاريخاً ، فقدمت سلسلة من الكتب والموسوعات القيّمة في هذا المجال ، ويأتي كتاب « السيدة سكينة » ضمن هذه السلسلة التزاماً من الدار بنهجها السامي لخدمة هذا التراث وشخصه ، آملين توفيقه سبحانه وتعالى لما يحب ويرضى .

غرة ذي الحجة ١٤١٩

آذار ١٩٩٩

جعفر الدجيلي





rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ .

(القرآن الكريم)





rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

المدخل

ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

عترة المصطفى (ص) هم عنصر الشرف عنصر الشرف وآصرة كل فضيلة رابية وقد ثبتت لهم الرفعة والجلالة بانتمائهم إلى المنبت الزاكي والشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ولا تنكر جهود أبيهم الأقدس ومساعيه الجبارة في انتشال الأمة إلى ساحل النجاة والسعادة ، على حين كانت تترامى بهم أمواج الضلال وتلتطم بهم الفتن وهم لا ينقذون من هوة الهوان إلا ويسفون على أعماق منها ، وكانوا يرسفون في أسر مهانة مخزية بين أصنام منحوتة ونواميس مهتوكة ودماء مهدورة وغارت متواصلة وعادات خرافية وبنات موءودة إلى أمثالها مما يقهقر سير الإنسانية ويعرقل مسعى البشر عما فيه الخير والصلاح .

فباغتهم (نبي الإسلام) بتعاليمه الناصعة وطقوسه الراقية فأسس لهم بھا کياناً خالداً وعزاً باقياً ودولة مرعية الجانب خضعت لها الدول ودانت لها الأمم وبطل مسعى الإلحاد ، وأعلن في أنحاء المعمورة دين التوحيد والسلام والوئام .

لم يزالوا في مركز الجهل حتى	بعث الله للورى أزكاهما
فأتى كامل الطبيعة شمساً	تستمد الشمس منه سناها
طربت لاسمه الثرى فاستطالت	فوق علوية السما سفلاها



ثم أننت عليه إنس وجنّ وعلى مثله يحق ثاها
وإلى طبه الإلهي باتت علل الدهر تشتكي بلواها
كيف لا تشتكي الليالي إليه ضرها وهو منتهى شكواها^(١)
إذا فمن واجب شكره تعظيم ذريته الطاهرة (فإن المرء يحفظ
في ولده) على أن أولئك النفر البيض دعاة إلى مبدأ الحق سبحانه
المهيمن على البشر بوجودهم ، دعاة إليه بألسنتهم ، دعاة بأقلامهم ،
دعاة بنظمهم ونثرهم ، دعاة بخطبهم ، دعاة بفواضلهم وفضائلهم ،
دعاة بأخلاقهم وأعمالهم ، وإذا فات البعض منهم بعض الفواضل
والدعوات فلا يفقد الآخر مجموعها فأى أحد من الأمة يلتفت إلى
أن المشرف لهم هو نبي الرحمة المنتشل للبشر عن مهاوي السقوط
والضعة فلا يدعن بأن الواجب في شريعة الحفاظ الخضوع لذريته
كرامة لذلك الجذم الأقدس والشجرة الطيبة التي أظلت العالم بغيئها
الوارف .

ومن ذا الذي يجد في آحاد منهم ما يتناسب مع منبتهم
الكريم من الخلق الطيب فلا يعتقد أن هذا مما عرقه فيه ذلك المنقذ
الأكبر (ص) ولا يروقه إلا التحلي بما استحسنه منهم ، وأما الذين
حصلوا على أصلهم الطاهر بشيء من دعوة اللسان والسنان فغناؤهم
أوفر ، واستفادة الأمة بهم أكثر .

(١) من قصيدة ملا محمد كاظم الأزرى البغدادي التميمي ، المولود في بغداد
سنة ١١٤٣ ، والمتوفى ببغداد غرة جمادى الأولى سنة ١٢١١ هـ ، تبلغ
ألف بيت من غرر الشعر تضمنت كرامات النبي (ص) ومغازيه ومواقف
الوصي علي (ع) ، فيها طبع مع تخميسها للشيخ جابر الكاظمي في
النحف المطبعة الحيدرية .

فهم على كل حال أدلاء على الخير ومسالك النجاة يحملون فضيلة الشرف والسؤدد ، فضيلة الدعوة إلى السلام والوئام ، فضيلة الإصلاح والرشاد ، وليس لسائر الأمة إلا الإحسان إلى ذرية الرسول المودة لهم التي هي أجر الرسالة بنص الكتاب العزيز .

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (١) .

والقربى هنا بمعنى الأقارب قطعاً ، وليس المراد منه قرب النبي من قريش ولا تقرب الأمة إلى الله تعالى بالطاعة ، لأن الأول يصح استعماله (٢) أولاً وهو المتبادر إلى الفهم من الإطلاق ثانياً ، وأما المعنيان الآخرين فيحتاج إرادتهما من الإطلاق إلى قرينة وهي مفقودة .

على أن الأخبار المتواترة دلت على أن قرابته المعنيين بالآية هم : علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) (٣) وذريتهم ، وقد استشهد عليه الأئمة المعصومون فيقول سيد الوصيين (ع) : فينا آية في حم لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ، ثم قرأ آية المودة . ويوم خطب الحسن (ع) بعد وفاة أبيه قال : أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم ، ثم قرأ آية المودة (٤) . ولما وقف الإمام السجاد (ع) مع حرم النبوة على درج مسجد الشام ، قال له شامي : الحمد لله الذي استأصلكم ، فقال (ع) : أما قرأت (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا

(١) سورة الشورى ، الآية ٢٣ : مدنية .

(٢) أساس البلاغة للزمخشري .

(٣) نص على بعض هذه الأخبار الزمخشري في الكشف : « ج ٣ ، ص ٤٠٢ » ، في تفسير الآية ، والرازي في تفسيره : ج ٧ ، ص ٣٩٠ ، ومجمع الزوائد : ج ٧ ، ص ١٠٣ .

(٤) الصواعق المحرقة ص : ١٠١ الآية الرابعة عشر .

الْمُودَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال الشامي : نعم وأنتم هم ؟ فقال الإمام (ع) :
نعم ، فبكى واستغفر ^(١) .

فدل هذا على معروفة المعنى المتبادر من لفظ القربى بين الناس
في ذلك الزمن القريب من عهد النزول ، ولو كان لغير هذا المعنى
نصيب من الواقع لما صدر من المعصومين الاستشهاد بالآية على
كونها فيهم ، ولما سكت من سمع الخطاب عن النقاش .

وفي هذا يقول محيي الدين العربي :

رأيت ولأبي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى بتبليغه إلا المودة في القربى ^(٢)

وحيث فلا موقع للإشكال على الآية بأن طلب النبي الأجر على
تبليغ الوحي لا يليق بمقام الأنبياء ، مع أنهم صارحوا بنفي الأجرة على
التبليغ ففي الحكاية عن نوح (ع) **(فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ إِنِ أَجْرِي**
إِلَّا عَلَى اللَّهِ) ^(٣) وعن هود وصالح ولوط وشعيب ^(٤) (ع) **(مَا**
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) وفي الحكاية
عن نبينا الأعظم (ص) : **(قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنِ أَجْرِي**
إِلَّا عَلَى اللَّهِ) ^(٥) وقوله : **(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّ**
لِّلْعَالَمِينَ) ^(٦) .

(١) تفسير روح المعاني للألويسي : ج ٢٥ ، ص ٣١ ، والصواعق المحرقة : ص ١٠١ ،
ومقتل الخواري : ج ٢ ، ص ٦١ ، وتفسير ابن كثير : ج ٤ ، ص ١١٢ .

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية : ج ٧ ، ص ٩ ، والصواعق المحرقة : ص ١٠١ .

(٣) سورة يونس ، الآية ٧٢ .

(٤) سورة الشعراء ، الآيات ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠ .

(٥) سورة سبأ ، الآية ٤٧ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية ٩٠ .

فإن التدبر في هذه الآيات الشريفة يفيدنا عدم المنافاة بينها وبين آية المودة لأن الأجر المنفي في هذه الآيات هو المال ، والأنبياء أرقى من أن يأخذوا المال على تبليغ الدعوة الإلهية مع ما فيه من المشقة على البأس التي أشار الكتاب العزيز إلى ثقلها على الطبائع فقال تعالى : (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مُثْقَلُونَ) ^(١) وقال : (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَيْبٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) ^(٢) .

والأجر المطلوب في آية المودة لم يكن من سنخ المال حتى يثقل على الطبائع البشرية تحمله ، لأن المقصود منه موالاة آل الرسول وهذا من سنخ الدعوة الإلهية فيليق بمقام النبوة الدعوة إليه والتعريف به ومن المناسب جداً لرسول المشرع الأقدس إعلام الأمة بما تستفيد منه السعادة الخالدة والزلفى إلى المهيمن سبحانه .

فإذاً يكون طلب النبي (ص) من أمته مودة آلِه الأقربين لطفاً منه وحناناً عليهم لإنارتهم لهم سبيل الخير ، وتعريفهم بالطريق اللابح وهكذا المصلحون يتحرون بمن يريدون إصلاحهم كل وسيلة تأخذ بهم إلى أسمى الغايات .

على أن المحبة لآل الرسول تستوجب مودة النبي (ص) المستلزمة لمحبة الله تعالى وطاعته كما جاء في المأثور عنه (ص) « أحبوا الله لما يغفلونكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحي » ^(٣) وإني أخاصمكم عنهم غداً ومن أكن خصيماً خصمه الله

(١) سورة الطور ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٧٢ .

(٣) مستدرک الحاکم على صحيح البخاري ومسلم ، ولم يتعقبه الذهبي « ج ٣ ،

ص ١٥٠ » .

ومن خصمه الله أدخله النار ^(١) .

وبهذه العناية يكون المعنى الثالث للفظ القربى في آية المودة وهو تقرب الأمة إلى الله تعالى بالطاعة لازماً لمودة أهل البيت لكونها محبوبة للرسول ومحبوبة لله سبحانه ، وهذا عين الطاعة إليه جل شأنه .

فالرسول الأعظم لم يسأل الأمة مالاً عوض تحمله المشاق في سبيل هدايتهم وإنقاذهم من مخالف الضلال والعمى ، والإرشاد إلى ما فيه حياتهم وجمع شملهم حتى يشكل عليه بعدم المناسبة لمقام النبوة والرسالة ، وإنما طلب منهم ما يعود نفعه إليهم ، وبه يستوجبون شمول العطف الإلهي ألا وهو مودة أهل بيته وقرباه وهم : (علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهم) وتفسير القربى بأهل البيت رواه الألويسي عن زاذان عن علي (ع) قال وإليه يشير الكميّ الأسدي :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقى ومعرب

ولله در السيد عمر الهيتي أحد الأقارب المعاصرين حيث يقول :

بأية آية يأتي يزيد غداة صحائف الأعمال تتلى

وقام رسول رب العرش يتلو وقد صمت جميع الخلق قل لا ^(٢)

وأي أحد يتخيل طلب النبي (ص) من الأمة التعويض بالمال عن تلك المتاعب التي لم يلاقها نبي غيره ولم يؤذ في سبيل نشر

(١) إسعاف الراغبين بجامش نور الأبصار ص ١١٤ ، عن ابن سعد .

(٢) تفسير روح المعاني ج ٢٥ ص ٣١ ، آية المودة .

دعوته أحد من الأنبياء كما أودى نبي الإسلام ^(١) .

وهل يقابل ذلك الخطر الإلهي بهذا العرض الزائل المتخلي عنه (صفى الله وحببته (ص) وقد عرضت عليه كنوز الأرض بأجمعها فآثر الأخرى الباقية على ما فيه الفناء ، حتى كان يبيت الأيام طاوياً ويشد الحجر على بطنه من الجوع ويسميه المشبع ^(٢) فالرسول الأقدس في سيره وأعماله لا يدعو إلا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

فآية المودة لا تنافي سيرة الأنبياء ولا سيرة نبينا الأعظم (ص) ولا يعارضها ما في سورة سبأ / ٤٧ (**قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ**) إلخ ولا ما في الأنعام / ٩٠ (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ**) الآية ؛ لأن الأجر المنفي في هاتين الآيتين المال الذي يشق على الناس بذله ويتنزعه عنه مقام من كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى والمطلوب في آية المودة لم يكن مالاً وإنما هو محبة آله ، وهذا من سنخ العبادة والطاعة ، ومثل المنقذ الأكبر يعرف الأمة ما فيه صلاحها ويرشدها إلى ما يقربها من المولى سبحانه زلفى .

ولعل الآية في سورة سبأ (**قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ**) تصاعد عليه فإن ظاهرها كالتمهيد للجواب عن مثل هذا الاشكال فإن معنى الآية إن ما يطلبه الرسول من الأجر إنما يعود نفعه إلى الأمة ، فالأجر الذي أراده من آية المودة ، وهو مودة أهل بيته معه

(١) غرر الخصاص للوطواط ص ٢٥ في باب من قدر فعفا ، وشرح الزرقاني

على المواهب ج ٤ ص ٣٢١ ، وكنز العمال ج ٢ ص ٢٩ باب الحلم .

(٢) شرح الصحيفة الكاملة للسيد علي خان .

لهم خاصة وحيثُذ فيتفق هذا مع قوله تعالى : (لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) لأن مودة آلِه وذريته ذكرى للعالمين ورحمة لهم لما فيها من احترام شخص النبي وتقدير أعماله الجبارة .

وما جاء في هذه الآية من طلب مودة القرى لا يتنافى مع ما في الفرقان / ٥٧ (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) ^(١) ، فإن الهداية إلى الله تعالى التي هي المطلوب السامي لنبي الإسلام عوضاً عن التبليغ ، والإرشاد يتفق مع مودة القرى المراد لرسول الله (ص) في آية الشورى فإن مودة آلِه من مصاديق الهداية إلى المهيمن سبحانه بامثال أوامره واجتناب معاصيه والقيام بما يقرب منه عز شأنه زلفى فلا ندحة له من مودة قرى النبي لأن الله تعالى حث على حبهم واقتفاء آثارهم .

ولو أعرضنا عن جميع ذلك لا تكون الآياتان المنفي فيهما الأجر معارضتين لآية المودة ، لأنهما مكيتان وآية المودة مدنية نازلة بعدهما والمدني لا يعارضه المكّي بوجه .

ودعوة ابن تيمية عدم الريب في كون آية المودة مكية ، لأنها من سورة الشورى التي هي كباقي الحواميم مكية ، وحيثُذ فأين تزويج علي من فاطمة ، وأين أولادهما ^(٢) ؟ تدلنا على عدم اطلاعه على كلمات المفسرين أو أنه غرض النظر ، عنها فإنه لم يصرح أحد بأن الآية مكية ، وكأنه تخيل من إطلاق قولهم الشورى مكية أنها بتمام آياتها وهذا غير لازم ، فإن جملة من الآيات المكية في السور المدنية

(١) سورة الفرقان ، الآية ٥٧ .

(٢) منهاج السنة « ج ٢ . ص ١١٨ ، وص ٢٥٠ » .

وبالعكس لأن تأليف القرآن لم يكن على حسب النزول^(١) ، ويحكي الزرقاني عن تفسير ابن عطية أن الآية مدنية ، وحديث ابن عباس ينص على أن المراد من القرابة فيها علي وفاطمة وأبناؤهما^(٢) .

ثم لو فرضنا عدم نزول (آية المودة) في أهل البيت لأفادنا ما ورد من محبوبة الإحسان إليهم والعطف عليهم وإيتاء المعروف لهم وقضاء حوائجهم والسعي في أمورهم : تأكده في ذرية رسول الله (ص) لكونه مشرفهم ومودع الفضل فيهم وهو أصل هذه الدوحة الميمونة ووصاياه في حقهم متواترة لا تبقي ريباً وتشكيكاً لمن يتطلب النص بالخصوص ، وقد جاء عنه (ص) : « لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من عترته ، وأهلي أحب إليه من أهله ، وذاتي أحب إليه من ذاته . وإن لله حرمة ثلاث من حفظهن حفظ الله دينه ودينه : حرمة الإسلام ، وحرمتي ، وحرمة رحمتي^(٣) » .

فمقارنة حرمة أهل بيته بحرمة شخص النبوة الواجب على الأمة مراعاتها وأن التقصير فيها يستوجب سخط الرب جل شأنه دليل واضح على امتياز الذرية على سائر المسلمين لحصولهم على هذا العنوان ، أعني كونهم ذرية الرسول مطلقاً سواء كانوا سائرين على منهج مشرفهم الأعظم أو متأخرين عنه ، نعم الحب لمن هو متبع لقوانين جدهم الأكرم يكون أكد ، وحيث يكون التقصير بأداء حق الذرية والخط من كرامتهم مستوجباً للوهن بمقام النبي (ص)

(١) ذكر حجة الإسلام المحقق ميرزا عبد الحسين الأميني في كتاب الغدير « ج ١ ص ٢٣٣ » تفصيل السور المكية وفيها آيات مدنية وبالعكس .

(٢) شرح المواهب اللدنية ج ٧ ص ٣ .

(٣) الصواعق المحرقة ص ١٣٧ و ١٣٩ .

استحق البعد من الله تعالى كل من أعرض عن إكرام الذرية .

ومن هنا جاء تحذيره (ص) : « من احتقرهم فهو ملعون أذهب الله عنه السمع والبصر ^(١) » .

وليس المراد منه فقد هاتين الحاستين لما يشاهد بالوجدان خلافه بل المراد منه عدم التوفيق لاستماع أو إبصار ما يقرب إلى الخير ويعيد عن درك العقاب على حد قوله تعالى : (**لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا**) ، وهذا هو المراد من قوله (ص) (ملعون) فإن اللعن ليس إلا الطرد والبعد عن الإلهية والفيوضات الربوبية ، فلا تهطل سحائب الرحمة على من احتقر الذرية ؟ وأشار إلى هذا قوله (ص) : « عليكم بحب أولادي فإنه يدخل الجنة لا محالة وبغضهم يدخل النار » ^(٢) .

وهذه الكلمات الذهبية من نبي الرحمة تلقي على الأمة ضوءاً تبصر منه المكانة السامية لذريته الصالحة ، وأما من كان بظاهره حائداً عن قانون الشرع فيكون الإحسان إليه من باب تكريم صاحب الدعوة الإلهية لكون الإهانة إليه تستلزم التوهين بمقام الرسول .

وإليه يشير النبي (ص) : « أكرموا أولادي الصالحين لله تعالى والطالحين لي ^(٣) » ، ولما لمح النبي العجب ممن سمع خطابه في إكرام الطالح منهم ، قال مرشداً له : أليس الولد العاق يلحق بالنسب ^(٤) .

(١) فضائل السادات ص ٣٨٩ .

(٢) جامع الأخبار .

(٣) جامع السعادات ص ٣١٤ أيوان أول .

(٤) فضائل السادات ص ٣٧٣ .

على أن الرسول الأعظم سأل الله سبحانه أن يثبت القائم بالحق من أهل بيته ويهدي ضالهم ويعلم جاهلهم ويجعلهم رحماً نجباء ويهب مسيئهم لمحسنهم ويهبهم له فأجاب الله تعالى سؤاله ^(١) وأكرمه بتوفيق ذريته للفوز الأكبر وهو الممات على ولاية الأئمة المعصومين والتوبة عما اقترفوه من الآثام ، ولو في آخر ساعة من أيامهم ، كما يفصح عنه قول الإمام الصادق (ع) لا يخرج أحدنا من الدنيا حتى يقر لكل ذي فضل فضله ^(٢) ، وفي آخر عنه (ص) عنه : ليس لكم أن تدخلوا فيما بيننا إلا بسبيل خير إنه لم تمت نفس منا إلا وتدرکها السعادة قبل أن تخرج نفسه ولو بفواق ناقة ^(٣) .

ومما يفيدنا وضوحاً في هذا الحكم الذي لا يرتاب فيه من يبصر الحقائق بعين صحيحة ما احتفظ به من وصايا المعصومين بإكرام ذريتهم ومن ينتسب إليهم نذكر بعضاً منها كمثال يتعرف منه مكانة الذرية .

١ . حدث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ^(٤)

(١) ذخائر العقبى ص ١٥ .

(٢) الخرائج في الباب ٦ .

(٣) مرآة العقول ج ١ ٢٦٢ عن الصدوق .

(٤) قال ابن خلكان بترجمة عبيد الله : كان عبيد الله شاعراً كاتباً تولى شرطة بغداد عن أخيه محمد ، وبعد وفاته استقل بها وإليه انتهت رئاسة آل طاهر وهو آخر من مات منهم رئيساً توفي سنة ٤٠٠ وله ٧٧ سنة ودفن بمقابر قریش ، ولقب جده طاهر بذي اليمينين لأنه ضرب بيساره شخصاً في واقعته مع علي بن ماهان ففقدته نصفين ، فقال بعض الشعراء : (كلتا يديه يمين حين يضربه) فلقبه المأمون بذلك . تولى على خراسان من قبل المأمون وكان معه غلام وهبه المأمون له فأمر الغلام أن يسمه ففعل الغلام وأصبح ميتاً لخمس بقين من جمادى الثاني سنة ٢٠٧ بمرو ، ومات والده الحسين =

انه دخل على أخيه محمد سحراً بعد مدة من قتله ليحيى بن عمر العلوي فرآه مطرقاً برأسه مهموماً حزيناً كأنه عرض على السيف وجواريه لا يتجاسرون على مسأله وأخته واقفة فسألها قالت : رؤيا هالته فقلت له : أيها الأمير روي عن النبي (ص) أنه قال إذا رأى أحدكم ما يكره في منامه فليتحول من جانبه إلى الآخر وليقل ثلاثاً أستغفر الله ويلعن إبليساً ويستعيز بالله ثم ينام .

فرفع إلي رأسه وقال : يا أخي كيف إذا كانت الطامة من جهة رسول الله (ص) ، ثم قال لي : ألسنت ذاكرة رؤيا طاهر وهو صغير للنبي في منامه وهو يقول له : يا طاهر إنك ستبلغ من الدنيا أمراً عظيماً فاتق الله واحفظني في ولدي فإنك لا تزال محفوظاً ما حفظتني في ولدي .

فما تعرض طاهر لقتال علوي قط وندب إلى ذلك غير دفعه ثم قال محمد : يا أخي إني رأيت البارحة رسول الله (ص) في منامي وهو يقول : يا محمد نكثتم ؟ فانتبهت فزعاً وتحولت واستغفرت الله وتعوذت من إبليس ولعنته ونمت فرأيت رسول الله (ص) الثانية وهو يقول : يا محمد نكثتم ؟ . ففعلت كما فعلت في الأولى ونمت فرأيت (ص) الثالثة وهو يقول :

نكثتم وقتلتم أولادي والله لا تفلحون بعدها أبداً .

فانتبهت وأنا على هذا الحال منذ نصف الليل ما نمت واندفع بيكي وبكيت معه ، فما مضت على ذلك إلا مدة يسيرة حتى مات

= بخراسان سنة ١٩٩ ، وكان جده مصعب بليغاً أديباً كتب لسليمان بن كثير الخزاعي صاحب دعوة بني العباس ، وتولى هراة ، وبوشنج بلدة تبعد عن هراة سبع فراسخ .



محمد ونكبنا بأسرنا أقبح نكبة وصرفنا عن ولايتنا ، ولم يزل أمرنا
يخمل حتى لم يبق لنا اسم على منبر ولا علم في جيش ولا إمارة
وصرنا إلى الآن تحت الحن ^(١) .

وبعد قتل يحيى جلس محمد بن عبد الله يهنأ بقتله وجماعة
الهاشميين والطلبيين وحضور ، وسمعهم أبو هاشم الجعفري يهنتونه
فقال : أيها الأمير إنك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله (ص) حياً
لكان هو المعزى به فما رد عليه محمد شيئاً ثم خرج أبو هاشم
يقول ^(٢) :

يا بني طاهر كلوه ويّاً ^(٣) إن لحم النبيّ غير مريّ
إن وتراً يكون طالبه الله لو تر نجاحه بالحريّ ^(٤)
ويحيى هو ابن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) وأمه أم الحسين فاطمة
بنت الحسين ابن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر
الطيّار ^(٥) .

كان يحيى ورعاً ديناً كثير البر والمعروف واصلاً لأهل بيته مؤثراً
لهم على نفسه عطوفاً على الطالبات لم تظهر منه زلة ولذا جزعت

(١) نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ج ١ . ص ٢٢٣ .

(٢) الطبري ج ١١ . ص ٩٠ ، وابن الأثير ج ٧ . ص ٤١ ، والبداية ج ١١ .
ص ٥ ، وفي عمدة الطالب أنها من أبيات .

(٣) في عمدة الطالب ص ٢٦٤ نجف « مريئاً » .

(٤) في عمدة الطالب ومروج الذهب ج ٢ . ص ٤١٠ . « بالفوت غير حري » .

(٥) الطبري وابن الأثير والبداية ومقاتل أبي الفرج ووههم المسعودي حيث نسبته
إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر لأن هذا نسب أمه .

عليه النفوس ورثاه القريب والبعيد ^(١) خرج بالكوفة ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة ٢٥٠ أيام المستعين ، وكانت الواقعة في ظهر خندق الكوفة حمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فطلب من يقوره فلم يقدم عليه أحد ، حتى من كان في السجن من الذباحين إلا رجل من عمال (السجن الجديد) فإنه صنع فيه كما أراد محمد وأرسله إلى سامراء فنصبه إبراهيم بن إسحاق الديزج على باب العامة لحظة وأنزله لكثرة إنكار العامة وأرجعه إلى محمد فلم يقدر أن ينصبه على الجسر لتجمع الناس وإنكارهم فخبأه في بيت سلاح في داره .

٢ . حدث أحمد بن إسحاق القمي وكان وكيلاً بقم عن أبي الحسن علي الهادي وأبي محمد الحسن العسكري (ع) : أن الحسين ابن الحسن بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (ع) كان « بقم » يشرب الخمر علانية فاعتزته نائبة فقصد بها أحمد بن إسحاق فلم يأذن له فرجع إلى أهله مهموماً منكسراً ولما توجه أحمد ابن إسحاق إلى الحج وبلغ سر من رأى استأذن على أبي محمد العسكري (ع) فلم يأذن له فكبر عليه ، وداخله هم شديد ولم يعلم السبب في ذلك حتى تضرع إليه طويلاً فأذن له وسأله عما أوجب إعراضه ؟ فعرفه الإمام (ع) أن السبب منعه العلوي من الدخول عليه وقد قصده لأمر أهمه فقال ابن إسحاق : لم يكن المنع إلا لأجل أن يتوب عما عليه من المآثم ، فقال الإمام (ع) : صدقت ولكن لا بد من إكرامهم لانتسابهم إلينا فلا تكن يا ابن إسحاق من الخاسرين بالإعراض عمن انتسب إلينا .

(١) مروج الذهب ج ٣ . ص ٤١٠ .

ولم يتباعده ابن اسحاق عن نصيح الإمام الواقف على الأسرار العارف بمقتضيات الأحوال علماً منه بأن (إمام الحق) لا يدعوا إلا إلى حكمة بالغة أو حقيقة راهنة فاحتفظ بهذه الوصية الثمينة حتى إذا رجع من الحج إلى مدينة قم زاره ذلك العلوي فيمن أتاحه من الناس فأظهر له ابن اسحاق أمام الحاضرين من التبجيل والاحترام ما أبهره وعجب منه الحاضرين .

فسأله العلوي عن هذا الحال الغريب مع ما شاهده منه من ذي قبل فذكر له ما جرى من الإمام العسكري (ع) معه .

فبكى العلوي وتاب عما كان عليه وصار من المتورعين المتخذين أقوال آبائه الهداة طريقاً مهيعاً في كل أعماله حتى فاجأه الموت ودفن بقم قريباً من مشهد السيدة الطاهرة (فاطمة) بنت الإمام الكاظم ^(١) .

٣ . حدث الوزير علي بن عيسى ^(٢) أن علويّاً من أولاد موسى ابن جعفر (ع) كان يأتيه في شهر رمضان فيعطيه خمسة آلاف درهم مؤنة له ولعِياله وهذه حالة مع العلويين في هذا الشهر المبارك فاتفق أنه رأى ذلك العلوي في الشتاء سكراناً فندم على ما كان منه معه وعزم على حرمانه ، ولما دخل شهر رمضان أتاحه العلوي على عادته

(١) فضائل السادات ص : ٣٦٢ عن تاريخ قم .

(٢) علي بن عيسى بن داود الجرح في شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٣٢ وزر مرات للمقتدر والقاهر وكان محدثاً ديناً خيراً كبير الشأن عاش تسعين سنة توفي ببغداد سنة ٣٩١ ودفن في داره ، ترجمته في معجم الأدباء ج ١٤ ص ٦٨ ، والمنظّم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢١٨ سنة ٣٩١ ، والبدایة لابن كثير ج ١١ ص ٣٣٠ .

فزيّره ومنعه وفي تلك الليلة رأى الوزير النبي (ص) مقبلاً على الناس وقد أعرض عنه فقال للنبي (ص) أتعرض عني مع إحساني لأولادك وبيري بهم ، فقال له رسول الله (ص) : إنك قطعت جائزتك عن ولدي فلان فأخبره بأنه لم يقطع عنه الجائزة إلا لأجل أن يقلع عن الآثام ، فأجابه النبي : إنك أكرمته لأجله أو لأجلي ؟ قال : لأجلك يا رسول الله ، فقال النبي : هلا سترت عليه لأجلي ؟ قال : الوزير حباً وكرامة .

ولما أصبح حمل إلى العلوي عشرة آلاف درهم وطيب خاطره وقال : إن أعوزك شيء عرفني .

فأبى العلوي أن يأخذ المال حتى يعرف السبب الذي دعاه إلى هذا مع ما صنعه بالأمس ، فقص عليه رؤيا النبي (ص) فعندها بكى العلوي وتاب إلى الله تعالى مما كان عليه ، وقال : إني لا أعود إلى شيء من ذلك ولا أحوج جدي رسول الله أن يحاجك من جهتي ^(١) .

فرسول الله (ص) والأئمة الهداة (ع) مقيضون لتبنيه الأمة من رقدة الجهل وإنارة سبيل الهدى لهم أحياء وأمواتاً ، وهذا لطف من المولى سبحانه على هذه الأمة ومنه عليهم بإنقاذهم من مخالف الضلال ، فشرع الطرق الموصلة إلى القرب منه جل شأنه ولم يخصها بأقوال المعصومين وأفعالهم الصادرة منهم حال الحياة ، بل أفاض عليهم عطفه وحنانه بإراءة تلك الأمثال القدسية في حال النوم مع شواهد تصدق ذلك (الحلم) ليفوزوا بالرضوان الأكبر .

(١) دار السلام للنوري ج ١ . ص ١٥٩ .

٤ . وكان لابن عنين الشاعر ^(١) أمر عجيب مع العلويين فإنه لما توجه إلى مكة ومعه مال وأقمشة خرج عليه بعض بني داود بن الحسن فأخذوا ما كان معه وسلبوه وجرحوه ، فكتب إلى الملك العزيز ابن أيوب صاحب اليمن وكان أخوه الملك الناصر أرسل إليه يطلب منه أن يقيم بالساحل المفتوح من أيدي الإفرنج فزهد ابن عنين في الساحل وحرضه على الأشراف الذين فعلوا به ما فعلوا وأول القصيدة :

أعيت صفات نذاك المصقع اللسنا	وجزت في الجود حد الحسن والحسنا
وما تريد بجسم لا حياة له	من خلص الزيد ما أبقى لك اللبنا
ولا تقل ساحل الإفرنج أفتحه	فما يساوي إذا قايسته (عدنا)
وإن أردت جهاداً فارو سيفك من	قوم أضاعوا فروض الله والسننا
طهر بسيفك بيت الله من دنس	ومن خسارة أقوام به وخبنا
ولا تقل إنهم أولاد فاطمة	لو أدركوا آل حرب حاربوا الحسننا

فلما قال هذه القصيدة رأى في النوم فاطمة الزهراء (ع) تطوف

(١) قال ابن كثير في البداية ج ١٣ . ص ١٣٧ : هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن علي بن محمد بن غالب الأنصاري المعروف بابن الشاعر . وفي الحوادث الجامعة ص ٥١ كوفي الأصل دمشقي المولد والمنشأ شاعر مشهور سافر إلى الآفاق في التجارة ومدهح الأكابر في كل البلاد ، وكان ظريفاً حسن الأخلاق ذا ثروة توفى بدمشق ووافقه على الوفاة بها ابن كثير وعينها في سنة ٦٣٠ أو سنة ٦٣٣ هـ ، وفي النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١١٣ له مع الطبيب الموفق أسعد الذي أسلم على يد السلطان مهاجرة ، وذكر ابن خلكان ترجمته ، وذكره ابن الديلمي في المختصر المحتاج إليه ج ١ ص ١٥١ ، وفي نفح الطيب مطبعة الحلبي ج ٧ ص ٣٣٠ إلى ص ٣٤٣ .

بالبيت وهي معرضة عنه فتضرع إليها وسألها عن ذنبه فأنشأت (ع) :

حاشا بني فاطمة كلهم	من خسة تعرض أو من خنا
وإنما الأيـام في غـدرها	وفعلها السوء أساءت بنا
لئن أسا من ولدي واحد	وجهت كل السب عمداً لنا
فتب إلى الله فمن يقترف	ذنباً له يغفر ما قد جنى
وأكرم بعين المصطفى جدهم	ولا تهـن من آله أعينا
فكل ما نالك منهم عناً	تلقى به في الحشر منا هنا

وانتبه أبو المحاسن يحفظ هذه الأبيات وقد عافاه الله تعالى من

المرض فخرق تلك القصيدة وقال :

عذراً إلى بنت نبيّ الهدى	تصفح عن ذنب مسيء جنى
وتوبة تقبلها من أخي	مقالة توقعه في العنا
والله لو قطعني واحد	منهم بسيف البغي أو بالقنا
لم أر ما يفعله سيئاً	بل أراه في الفعل قد أحسنا ^(١)

هذا حال المعصومين مع من خرج من ذريتهم عن سنن الشريعة واتبع الشهوات ، ولا تفوت النكتة في هذه الوصايا فإن الغرض إنقاذ الذرية من تلك الهلكات بالتوبة من المعاصي والإقلاع

(١) قال في عمدة الطالب ص ١١٩ ط نجف اختصرت ألفاظ هذه القصيدة وهي مشهورة مذكورة في ديوان ابن عنين ، ورواها الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن معية الحسيني وحدي لأمي الشيخ فخر الدين محمد بن الفاضل السعيد زين الدين حسين بن حديد الأسدي كلاهما عن السيد السعيد بهاء الدين داود بن أبي الفتوح عن أبي المحاسن نصر الله بن عنين صاحب الواقعة ، وقد ذكرها البادرأوي في كتاب (الدر النظيم) وغيره من المصنفين ، وذكرها الزبيدي في تاج العروس ج ٩ ص ٢٨٥ مادة (عون) .

عن الذنوب مع حفظ الكرامة لهم ، وأما من كان منهم عارفاً بالأمر متبعاً لقانون الإسلام فلا يقاس بسائر الناس بشهادة الإمام الرضا (ع) على ما يحدث عنه سليمان بن جعفر قال : قال علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) أشتهي أن أدخل على أبي الحسن الرضا (ع) قلت وما يمنعك من ذلك ؟ قال الإجلال والهيبة واتقي عليه .

ثم إن الرضا (ع) اعتلّ علة خفيفة عاده فيها الناس فلقيت ابن عبيد الله وقلت قد جاءك ما تريد قد اعتل أبو الحسن وعاده الناس فإن رأيت الدخول عليه فالיום ، فمضى إلى منزل أبي الحسن فلاقاه أبو الحسن الرضا (ع) بكل ما يجب من الإجلال والتعظيم ففرح بذلك علي بن عبيد الله فرحاً شديداً .

ثم إن علي بن عبيد الله مرض وعاده أبو الحسن الرضا (ع) وأنا معه فجلس حتى خرج من كان في البيت ولما خرجنا أخبرني مولاة لنا أن أم سلمة امرأة علي بن عبيد الله كانت من وراء الستر تنظر إلى أبي الحسن (ع) فلما خرج جاءت وانكبت على الموضع الذي كان جالسا فيه أبو الحسن تقبله وتمسح به ، فقصدت أبا الحسن (ع) وأعلمته بما صنعت أم سلمة فقال (ع) : يا سليمان إن علي بن عبيد الله وامراته وولده من أهل الجنة ، يا سليمان إن ولد علي وفاطمة (ع) إذا عرفهم الله هذا الأمر لم يكونوا كالناس ^(١) .

(١) رجال الكشي ص ٣٦٥ .



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الخلاصة

لقد وضع مما ذكرناه أن نبي الإسلام أراد بالأمة خيراً حيث أرشدها إلى ما هو الصالح لها ، وفيه الزلفى إلى المهيمن جل شأنه ألا وهو المودة لذريته المستتبعة لعونهم ومساعدتهم على نوائب الدهر وما يحتاجون إليه في هذه الحياة ، وعرفهم بأن هذا المعروف مع آله وقرباه لا يذهب سدى فإنه يوم الجزاء يكون (ص) هو المكافي لكل من أسدي إلى ذريته يداً بيضاء وحيث فمما ظنك بتلك المجازات الصادرة من أكرم الخليفة وهل يستطيع أحد أن يحدها أو يقف على مداها .

ملك يحتوي ممالك فضل	غير محدودة جهات علاها
لو أعيرت من سلسيل نداد	كرة النار لاستحالت مياها
ذاك أسخى يداً وأشجع قلباً	وكذا أشجع الورى أسخاها
كم على هذه له من أياد	ليست الشمس غير نار قراها
وله في غد مضيع جنان	لم يحل حسننها ولا حسنناها
أين من مكرماته معصرات	دون أدنى نواله أننداه ^(١)

فالتحدث عما يشين موقف الذرية من الشرع الحنيف يوجب

(١) من قصيدة ملاكاظم الأزرى (رحمه الله) .

وهنا في مقام ذلك الجلال القدسي الطافح بالعظمة وقد أمر (ص) بإكرام أولاده ، الصالح لله والطالح له .

على أن الأحاديث المسطورة في كتب التاريخ مما يشين مقام الذرية لم يثبت صحة إسنادها ، وإنما جاء بها أناس يحملون أحقاداً محتدمة على المصطفى (ص) طلباً لثارات أشياخهم المودى بهم في بدر وحنين وغيرهما من مغازية مشفوعة بأضغان معتلجة في الصدور على أمير المؤمنين (ع) بما أنه المباشر لإزهاق أولئك الطعام .

لكن الظروف لما لم تسع لهم أن يشينوا سمعة الرسالة عمدوا إلى الوقعة في آله الأقربين باختلاق نسب مفتعلة ولقنوها الرواة وتلقنتها البسطاء وخفيت على الفطاحل وذوي الفضيلة غير أن الاستضاءة بنور البحث والتنقيب أماطت الستار عن الحقيقة وعرفتنا حال أولئك الرواة وما جاؤوا به من قدح وذم .

ويسجل ابن أبي الحديد في شرح النهج ^(١) رجلاً كانوا يستميلون دنيا الخلفاء بافتعال أحاديث تبعد العامة عن المعصومين وذويهم . ويقول الخطيب : ضرب المتوكل نصر بن علي ألف سوط لكونه حدث في فضل الحسن والحسين (ع) ولم يكف عنه حتى شهدوا أنه من أهل السنة ^(٢) .

وقول مقاتل للمنصور الدوانيقي : إن شئت وضعت لك أحاديث في فضل العباس بن عبد المطلب ^(٣) يؤكد ما عليه الرواة من افتراء الأحاديث إرضاء للخلفاء .

(١) ج ١ . ص ٣٥٨ إلى ص ٣٦٥ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ . ص ١٦٧ .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٣ . ٢٨٧ .

أنا لا أقول كل أولئك المنتمين إلى نبي الإسلام منزّهون عن
الوصمات فإن قضية عدم العصمة في غير الأئمة الاثني عشر تسوغ
صدور الشائعة منهم ، لكنني أقول إن جل هاتيك المطاعن لم تثبت
بطرق صحيحة يكن إليها ، فلا يصح الطعن بأقوام ثبت الصلاح
لنوعهم وأمرنا بحبهم وإكبارهم لمكان جدهم الكريم (ص) بمجرد
ورود مثل هاتيك الروايات من دون شواهد وقرائن تقوم على
صدقها .

مع ما في ذلك من هتك المؤمن بإخراجه عن مستوى الشريعة
المطهرة ، والأحاديث تنص على حرمة المؤمن ميتاً كحرمة حيّاً ، وأن
الطعن عليه وإيذائه طعن على الله تعالى في عرشه وحرب لرسوله
(ص) ^(١) .

وفيه من الاغتياب المحرم في قوله تعالى : (**أَيُّحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**) وصارح الرسول (ص) على منبر
الدعوة الإلهية بأن الله لا يغفر للمغتتاب ، إلا أن يغفر له صاحبه
وأن حرمة الغيبة كمن زنى بأمه بين الركن والمقام .

والغيبة كما عليه العلماء من الشيعة والسنة ذكر الشخص بما
يكره ، وأي كراهة أعظم من نسبة الشخص المسلم إلى المروق عن
الدين ، ولا مبرر غير أحاديث أرسلت في الزير بلا صحة في إسنادها
وقد عرف المنشأ في وضعها واختلافها .

على أن فيه إشاعة للفاحشة المنهي عنها بقوله تعالى : (**وَالَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) .

(١) الصدوق في ثواب الأعمال .

نعم يجوز لمن توفرت عنده القرائن الصحيحة على خروج الشخص عن العدالة والوثاقة فيصفه بذلك بقصد الوقوف على جرحه ليتحرز عن العمل برواياته في الأحكام الشرعية وأما من لم تتوفر عنده القرائن المثبتة للجرح أو توفرت ، ولكن لم يقصد هذه الغاية الثمينة الذي وضع علم الرجال لأجلها وأجهد العلماء أنفسهم في تمييز المجروحين من غيرهم فيحرم شرعاً التعرض له لأنه هتك المؤمن وإيذاؤه بالقول الشائن وإشاعة الفاحشة واغتيابه المحرم كل ذلك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة .

وعلى هذا فما أرسل في الكتب من نسبة المروق عن الحق إلى عبد الله المحض وجماعة الهاشمين رجالاً ونساءً لا يصح نقله لجهولية رجال الإسناد في جملة الأحاديث وعدم ثبوت التوثيق في جملة أخرى وعدم الاعتماد على كثير ممن أودع تلك الأحاديث في كتابه .

وقد قال الله تعالى : (**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**) (١) .

والفاسق أعم ممن ثبت فسقه أو لم يثبت توثيقه .

ومن العجيب أن أرباب الجوامع الذين احتفظوا بأمثال هذه الأحاديث نراهم لم يعبأوا بما تتضمنه من حكم إلزامي وتكليف شرعي بل لا يحتاطون في اتيانه إذأ فكيف جاز الاعتماد على هذا النقول في جرح الرجل المسلم ونسبته إلى التمرد على قانون الإسلام ، أليس هذا من التساهل في الدين ؟ (أيها المنصفون) فيعلم من ذلك أن غرضهم من تأليف قضايا تاريخية وقصص أخبار الماضين على ما دب ودرج .

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٦ .

ثم إن السيد الجليل الثقة ثبت رضي الدين علي بن طاووس يحدث في رسالته (مسكن الفؤاد) عن الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان عن الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه عن شيخه الجليل محمد ابن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن أبي عمير عن إسحاق بن عمار ^(١) قال : كتب أبو عبد الله الصادق (ع) إلى عبد الله بن الحسن . المثني . حين حمل وأهل بيته يعزيه عما صار إليه ونص الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه ، أما بعد : فإن كنت قد تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ما انفردت بالحزن والغيب والكآبة وأليم وجع القلب دوني ، وقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحرّ المصيبة مثل ما نالك ، ولكن رجعت إلى ما أمر الله عز وجل المتقين من الصبر وحسن العزاء حين يقول لنبيه (ص) : **(وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)** ^(٢) وحين يقول : **(فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوتِ)** ^(٣) وحين يقول : لنبيه (ص) حين مثل حمزة :

(١) رجال السند إلى ابن أبي عمير من مشاهير علماء الإمامية وأعيان شيوخ الاجازة ، وأما ابن عمير فهو جليل القدر في الطائفة ثقة ثبت وناهيك بجلالة قدره اعتماد الأصحاب على مراسليه . وأما إسحاق بن عمار فإن كان الصيرفي فهو جليل ثبت ، وإن كان الساباطي فهو موثق الحديث ، وعلى كل حال فالرواية صحيحة لا وقفة فيها .

(٢) سورة الطور ، الآية : ٤٨ .

(٣) سورة القلم ، الآية : ٤٨ .

(وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ
لِّلصَّابِرِينَ) ^(١) فصربر رسول الله (ص) ولم يعاقب ، وحين يقول :
(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ
وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) ^(٢) وحين يقول : (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا
لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ) ^(٣) وحين يقول : (إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ) ^(٤) وحين يقول لقمان لابنه : (وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ
ذَٰلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) ^(٥) وحين يقول موسى لقومه : (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ
وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) ^(٦)
وحين يقول : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ) ^(٧) وحين يقول : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصِ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) ^(٨) وحين
يقول : (وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ) ^(٩) وحين يقول : (وَاصْبِرْ حَتَّىٰ
يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) ^(١٠) وأمثال ذلك من القرآن كثير .

واعلم أيها عمي وابن عمي أن الله عز وجل لم ييال بضر

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٦ .

(٢) سورة طه ، الآية ١٣٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآيتان ١٥٦ و ١٥٧ .

(٤) سورة الزمر ، الآية ١٠ .

(٥) سورة لقمان ، الآية ١٧ .

(٦) سورة الأعراف ، الآية ١٢٨ .

(٧) سورة العصر ، الآية ٣ .

(٨) سورة البقر ، الآية ١٥٥ .

(٩) سورة الأحزاب ، الآية ٣٥ .

(١٠) سورة يونس ، الآية ١٠٩ .

الدنيا لوليه ساعة قط ولا شيء أحب إليه من الجهد والأداء مع الصبر ، وأنه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط ، ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أوليائه ويخيفونهم ويمنعونهم وأعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون ، ولولا ذلك ما قتل يحيى ابن زكريا ظلماً وعدواناً في بغي من البغايا .

ولولا ذلك ما قتل جدك علي بن أبي طالب لما قام بأمر الله عز وجل ظلماً وعدواناً ، وعمك الحسين بن فاطمة (ص) اضطهاداً وعدواناً .

ولولا ذلك ما قال الله عز وجل في كتابه :

(وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) (١) .

ولولا ذلك ما قال في كتابه :

(أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) (٢) .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث :

لولا أن يحزن المؤمن لجعلت للكافرين عصابة من حديد فلا يصدع رأسه أبداً .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث :

إن الدنيا لا تساوي عند الله عز وجل جناح بعوضة .

(١) سورة الزخرف ، الآية ٣٣ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان ٥٥ . ٥٦ .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث :

لو أن المؤمن على قمة جبل لبعث الله له كافراً أو منافقاً يؤذيه .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث :

إذا أحب الله قوماً أو أحب عبداً صب عليه البلاء صباً ، فلا يخرج من غم إلا وقع في غم .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث :

ما من جرعتين أحب إلى الله عز وجل أن يجرعها عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها ، ومن جرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب .

ولولا ذلك لما كان أصحاب رسول الله (ص) يدعون على من ظلمهم بطول العمر وصحة البدن وكثرة المال والولد .

ولولا ذلك ما بلغنا أن رسول الله (ص) كان إذا حصّ رجلاً بالترحم والاستغفار استشهد .

فعليكم يا عم وابن عم وبني عمومي وإخوتي بالصبر والرضا والتسليم والتفويض إلى الله عز وجل والرضا والصبر على قضائه والتمسك بطاعته والنزول عند أمره .

أفرغ الله علينا وعليكم بالصبر وختم لنا ولكم بالسعادة وأنقذكم وإيانا من كل هلكة بحوله وقوته إنه سميع قريب وصلى الله على صفوته من خلقه محمد النبي وأهل بيته .

قال السيد ابن طاووس في الإقبال : اشتملت هذه التعزية على وصف عبد الله . المحض . بالعبد الصالح والدعاء عند جانبها له ولبني عمه بالسعادة وهذا يدل على أن الجماعة المحمولين كانوا عند الصادق (ع) معذورين وممدوحين ومظلومين وبحقه عارفين .



وما يوجد في الكتب من مفارقتهم للصادق (ع) محتمل للتقية
لئلا ينسب إظهارهم في إنكار المنكر إلى الأئمة .

ومما يدل على حسن حالهم ومعرفتهم بالحق ما يرويه خلاد بن
عمير الكندي مولى لآل حجر بن عدي قال : دخلت على أبي
عبد الله الصادق (ع) فقال : هل لكم علم بآل الحسن الذين خرج
بهم مما قبلنا وكان قد اتصل بنا عنهم خبر فلم نحب أن نبده به ،
فقلنا نرجوا أن يعافيه الله ، فقال (ع) : وأين هم من العافية ؟ ثم
بكى حتى علا صوته .

ثم قال حدثني أبي عن فاطمة بنت الحسين (ع) قالت :
سمعت أبي صلوات الله عليه يقول :
يقتل منك أو يصاب منك نفر بشط الفرات ما سبقهم الأولون
ولا يدركهم الآخرون . وإنه لم يبق من ولدها غيرهم .

قال السيد ابن طاووس وهذه شهادة صريحة من طرق صحيحة
بمدح المأخوذ من بني الحسن (ع) وإنهم مضوا إلى الله جلّ جلاله
بشرف المقام والظفر بالسعادة والإكرام .

ولقد كان عبد الله بن الحسن المحض عارفاً بالحجة المهدي
الموعود به الذي يقيم العدل والقسط أو أنه غير ابنه محمد وإن
تسمى به .

فقد رويناه عن جدنا الشيخ الطوسي بإسناده أن أبا عبد الله
الصادق (ع) وقف تحت الميزاب يدعو وعن يمينه عبد الله بن الحسن
وعن يساره حسن ابن الحسن ومن خلفه جعفر بن الحسن فناده عباد
ابن كثير البصري : يا أبا عبد الله ثلاثاً فلم يجبه ، فقال له : يا جعفر



فَعِنْدَهَا ، قَالَ : لَهُ مَا تَشَاءُ يَا أَبَا كَثِيرٍ ، فَقَالَ : إِنِّي وَجَدْتُ فِي كِتَابٍ لِي أَنَّ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ يَنْقُضُهَا رَجُلٌ حَجَرًا حَجَرًا .

فَقَالَ (ع) : كَذَبَ كِتَابُكَ يَا أَبَا كَثِيرٍ .

وَلَكِنْ كَأَنِّي بِهِ وَاللَّهِ أَصْفَرُ الْقَدَمِينَ أَحْمَشُ السَّاقِينَ ضَخَمَ الْبَطْنِ رَقِيقَ الْعُنُقِ ضَخَمَ الرَّأْسِ عَلَى هَذَا الرُّكْنِ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ، يَمْنَعُ النَّاسَ مِنَ الطَّوَافِ حَتَّى يَتَذَعَّرُوا مِنْهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا مِنِّي ، وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ ، فَيَقْتُلُهُ قَتْلَ عَادَ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَثْنَى : صَدَقَ وَاللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع) حَتَّى صَدَّقُوهُ كُلَّهُمْ ، فَهَلْ يَصْدُرُ مِثْلُ هَذَا الْاعْتِرَافِ إِلَّا مِمَّنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَالْيَقِينَ ، وَمُطْمَئِنِّ بِالْحُجَّةِ الْمَهْدِيِّ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ (ع) .

كَمَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَضِّضَ لَمْ يَنْكَرْهُ فَقَدْ سَأَلَهُ أَخُوهُ يُحْيَى عَنْ الْمَهْدِيِّ ، هَلْ هُوَ أَخُوهُ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : (الْمَهْدِيُّ) عِدَّةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ (ص) وَعَدَهُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ أَهْلِهِ مَهْدِيًّا لَمْ يَسْمَعْهُ بَعَيْنُهُ وَلَمْ يَوْقَتْ زَمَانُهُ ، وَلَكِنْ أَخِي مُحَمَّدٌ قَامَ بِفَرِيضَةِ عَلَيْهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ الْمَهْدِيَّ الَّذِي يَذْكُرُ فَهُوَ فَضْلُ اللَّهِ يَمُنُّ بِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَإِلَّا فَلَمْ يَتْرِكْ أَخِي فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ لَانْتِظَارِ مِيعَادٍ لَمْ يَوْمَرْ بَانْتِظَارِهِ .

وَكَانَ أَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : إِنِّي خَارِجٌ مُقْتُولٌ ثُمَّ ذَكَرَهُ عَذْرُهُ فِي خُرُوجِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ مُقْتُولٌ .

وَهَذَا كُلُّهُ يَكْشِفُ عَنْ تَمَسُّكِهِمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَالْأُتَمَّةِ مِنْ آلِهِ .



روينا ذلك عن جدي أبي جعفر الطوسي .

انتهى الإقبال .

إني لا أرى لأي أحد التوقف في حسن حال هؤلاء العلويين
بعدهما يقرأ هذه الرسالة المباركة من الإمام جعفر الصادق (ع) إلى بني
عمه .

ولم يسمح له التمسك بالعلم الصحيح إلا رفض كل ما جاء
من الطعن في هذه الذوات وأمثالهم ممن لم يثبت بالطرق الصحيحة
التمرد منهم على الشرع الأقدس .

ومن هؤلاء ما ستقرؤه عن السيدة سكينة (ع) بنت الإمام
الشهيد (ع) التي لم تقم أدلة صحيحة على مروقها عن الشريعة
واجتنابها طريق الحق .

ومن هنا قال العلامة الحلّي في أجوبة مسائل ابن مهنا ما
نصه :

لا يجوز لأحد أن ينسب إلى أحد من الذرية ارتكاب محرم
متفق على تحريمه ما لم يثبت بدليل صحيح ، وإسناد النقص إلى
الرواة أولى من إسناد النقص إليهم ، اهـ .

وقال العلامة المجلسي في مرآة العقول ج ١ . ص ٢٣٢ :

الأنسب عدم التعرض لأحد من أولاد الأئمة إلا بخير إذ لم
يثبت الحكم بالتبري منهم ، اهـ .





rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

الغالب على سَكينة الاستغراق مع الله عز وجل

أبو عبد الله الحسين (ع)





rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

سكينة مع الله تعالى

جاء الحديث : إن الحسن المثنى بن الحسن بن أمير المؤمنين (ع) أتى عمه أبا عبد الله الحسين (ع) يخطب إحدى ابنتيه فاطمة وسكينة ، فقال له أبو عبد الله (ع) أختار لك فاطمة فهي أكثرها شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله (ص) ، أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار ، وفي الجمال تشبه الحور العين ، وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل ^(١) .

إن هذه الكلمة الذهبية من سيد شباب أهل الجنة (ع) تفيدنا درساً بليغاً عن مكانة ابنته (سكينة) من الشريعة المقدسة ، وأن أختها الطاهرة مهما حازت الثناء الغير المتناهي لا تبلغ شأوها ، ولا تجاريها في رهبانية وتجرد عن اللذات وانقطاع عن الدنيا الفانية ، وكيف لا تكون كذلك وهي ابنة معدن القداسة عجنت طينتها بماء النزاهة فكانت متأثرة بحسن التربية ، وكرم الأخلاق ، فهي مثال السؤدد ، وقد جللها الشرف مطارف من الحياء والعفة ، فقول الإمام الشهيد (ع) : (غالب عليها الاستغراق مع الله) ، يشير إلى أن ابنته الكريمة كانت ساجدة بين أمواج الفناء في الله سبحانه (إن لم نقل البقاء

(١) إسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأبصار ص ٢٠٢ .



بالله) وقد انعكست في مرآة نفسها لواعج الجلال والجمال الإلهي ،
فأينما توجهت لا تجد إلا تلك الصفات المنتقشة فيها المعاني القدسية ،
ولا ترى لغيرها كياناً ولا تعتبر لأي جمال خطراً ولا لأي مال معتبراً
ولا تحسب ان لسوى ما شاهدته مذكراً .

وإذا كان عشق الإنسان يعشي البصر عن غير المعشوق ، ولا
يشعر العاشق بكل ما يلاقيه عند توجهه مشاعره نحوه ، كما لم تشعر
النسوة بألم قطع المديّة أيديهنّ عند توجهه مشاعرهن نحو الصديق
يوسف (ع) (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا
مَلَكٌ كَرِيمٌ) (١) .

فالعشق الحقيقي لمظاهر الجمال الإلهي أولى بأن يقف سداً دون
ما سواه كما لم يشعر أصحاب الحسين (ع) بما لاقوه من ألم الجروح
الدائمة (٢) بعد تكهّرهم بولاء سيد الشهداء وتوجه مشاعرهم نحو الجمال
القدسي الإلهي ونزوع أنفسهم إلى الغاية القصوى من القداسة .

وابنة النبوة « السيدة سكينة » بلغت من عظيم مجاهدة النفس
إلى حد لم يبق لها نزوع إلا إلى صقع القداسة والاندفاع إلى مركز
الفناء في الله عز وجل وليس لها لفتة إلى نواميس الحياة والانعطاف
إلى لوازم المعاشرة مع الناس فهي بين عبادة وزهادة وتذكير وتفكير
وهذا معنى الاستغراق مع الله تعالى .

وكانت من اللاتي شغلتهنّ الآخرة عن الأولى فلا يرين لغير
المولى تعالت آلاؤه كياناً يجلب النظر إليه ، ولا إلى معاشرة من
ليست هي مثلها في السلوك والرياضة .

(١) سورة يوسف ، الآية ٣١ .

(٢) الخرائج للراوندي ص ١٣٨ . ط الهند .

وكان ما شاهدته السيدة سكيمة « حق اليقين » وهو أرقى مراتب السالكين ، فإن أهل الكشف والسلوك بعد أن عرفوا اليقين بأنه الاعتقاد المطابق للواقع الثابت الذي لا يزول وهو في الحقيقة مؤلف من علمين : علم بالواقع ، وعلم بمحالية خلافه ، ذكروا له مراتب ثلاثاً فإنه إن حصل من الاستدلال والنظر كالعالم بالحاصل بوجود النار من الدخان سموه (علم اليقين) .

وإن حصل بالكشف والمشاهدة كمعينة جرم النار وكالكشف الحاصل للخلص من المؤمنين الذين اطمأنت قلوبهم بالله وتيقنوا بمعينة قلوبهم ، إن الله نور السموات والأرض سموه (عين اليقين) .

وإن حصل بالاتصال المعنوي لأهل الشهود والفناء الذين لا يرون في الوجود شيئاً إلا (ذات الحق) تعالى شأنه كما قال سيد العارفين أمير المؤمنين (ع) : لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً^(١) سموه (حق اليقين) .

وقد أشار الكتاب العزيز إلى هذه المراتب فقال سبحانه : **(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)**^(٢) يريد جل شأنه أنه لو حصل الاستدلال بالطرق الصحيحة والنظر فيما ورد

(١) هذه الكلمة نقلها الألوسي في تفسيره روح المعاني ج ٣ ص ٢٧ عند قوله تعالى **(كَيْفَ تُخَيِّي الْمَوْتَى)** عن أمير المؤمنين علي (ع) ، ومثله أبو السعود في تفسيره على هامش تفسير الرازي ج ٤ ص ٥٧٠ عند قوله تعالى في الأنفال **(وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)** والخفاجي في شرح الشفا ج ٤ ص ٤ باب عقد قلب النبي ، ونسبها عماد الدين الأموي في حياة القلوب على هامش قوة القلوب لأبي طالب المكي ج ٢ ص ٢٥١ إلى بعض السلف .

(٢) سورة التكاثر ، الآيتان ٥ و ٦ .

من الآيات والروايات بوجود ما أعد الله للعاصين لحصل العلم اليقيني بوجود النار الكبرى ، ثم ترتقي الحالة إلى الكشف عنها حتى كأنهم يشاهدونها بنفسها . وهو المراد من قوله تعالى بعد ذلك : (ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) .

وأما المرتبة الثالثة التي أشار إليها بقوله تعالى : (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) ^(١) فلا تحصل إلا لمن نظر إليها بواسطة تجرده عن العوارض وتخليته نفسه عن الشهوات ، وانقطاعه عن عالم الملك الزائل ^(٢) .

وإن ابنة النبوة حازت أرقى هذه المراتب التي أخبر عنها الإمام الحجة الواقف على سرائر العباد بقوله : (غالب عليها الاستغراق مع الله) فإن الاستغراق هنا عبارة عن الفناء في بحر العظمة الإلهية بحيث لا تكون لها لفظة لوازم الحياة وعوارض الدنيا الفانية .
ومن أجل ذلك أخذت بمجامع قلب أبيها وزاد حنوه عليها حتى استحقت أن يصفها المعصوم بخيرة النساء ، لما وقف عليها يوم الطف ورآها منحازة عن النسوة باكية نادبة فقال (ع) :

لا تحرقني قلبي بدمعك حسرة ما دام مني الروح في جثمان
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان
وهل من المعقول أن حجة الله يخبر عن مبلغ ابنته من الدين وسلوكها مع الله تعالى ، ثم يصفها بخيرة النساء وهو يعلم أنها مارقة

(١) سورة الواقعة ، الآيات ٩٢ . ٩٣ . ٩٤ . ٩٥ .

(٢) هذه المراتب الثلاثة ذكرها ابن حجر في الفتاوى الحديثية ص ٢٢٠ .

عن صراط الشريعة ، ومتنكبة عن سبيل الحق أو أنها تمرق عنه ؟
كلا .

(فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) ^(١) .

(١) سورة الزمر ، الآيتان ١٧ - ١٨ .





rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الوضاعون

إن أضداد البيت العلوي كمصعب الزيري وابن أخيه الزير بن بكار والهيثم بن عدي الطائي الكوفي وصالح بن حسان وأشعب الطامع وأضرابهم أرادوا أن يشوهوا مقام هذا البيت الطاهر بكل ما لهم من حول وطول ، وحيث إنهم لم يتمكنوا من نسبة المفتريات إلى من وجبت فيهم العصمة من الأئمة الهداة عمدوا إلى أولادهم وبناتهم فاختلقوا في حقهم كل شائنة تخرجهم عن الدين ، وتوقف البسطاء عن الانضواء إليهم وإلى سلفهم طمعاً في وفر ملوك الزمان وقد حصل هناك من يحسب أن سعة العلم في الإكثار من الروايات ولو من غير تثبت في النقل فاختلط الحابل بالنابل ، والصحيح بالسقيم وديف السم في الدسم .

غير أن الاستضاءة بنور العلم الصحيح وتمحيص الحقائق كشفت عن عوار تلك الأحاديث ، ووضح أن هؤلاء الرجال الذين أكثروا من رواة هذه الأكاذيب لم يعتمد عليهم علماء الرجال ولم يجعلوا لأحاديثهم قيمة تذكر فسدوا ثغرة معرة أولئك الدسائس بإخراجهم عن صفوف من يعتمد على مروياته تمحيصاً للأخبار عن وصمة التدجيل .



وكان رسول الله (ص) يعلم بما يحدث بعده من دسائس الدجالين ، فحذر أمتهم وعن مفترياتهم فقال (ص) : « ستكثر عليّ القالة من بعدي فمن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار » ^(١) .

وكلمة المرزباني تفيد النابه فقهاً بعداوة آل الزبير لآل علي (ع) يقول : انحراف الزبير بن بكار عن أهل البيت (ع) ظاهر فلا يقبل ما جمعه من سرقات كثير الشاعر لتشيعة وهجائه لآل الزبير ^(٢) .

ولم تخف هذه الظاهرة على شيخنا المفيد فأرسلها معتمداً عليها غير متردد فيها قال : لم يكن الزبير بن بكار مأموناً في الحديث ولا موثوق النقل فيما يرويهِ من القذائف في حق أهل البيت ومنه تزويج عمر بأم كلثوم لبغضه أمير المؤمنين (ع) وتحامله عليه ^(٣) .

وقال العلامة الحلي : كان الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام من أشد الناس عداوة لأمير المؤمنين وولده ^(٤) .

ولم يعتمد أحمد بن علي السليماني على روايات الزبير بن بكار لإكثاره الرواية عن الضعفاء ^(٥) .

(١) الاحتجاج للطبرسي ص ٢٤٧ في احتجاج الجواد على ابن أكرم .

(٢) الموشح ص ١٥٤ .

(٣) المسائل السروية ص ٦١ المسألة العاشرة وعنه المجلسي في البحار ج ٩ ص ٦٢٤ ، وغير خفي على القارئ أن البحث والتنقيب أوقفنا على نكتة مهمة وهي عدم وجود أم كلثوم بنت فاطمة وعلي (ع) والدياج من فاطمة ابنة الحسين في اللوح المحفوظ وليس لفاطمة (ع) إلا العقيلة زينب الكبرى وقد أوضحناه في (نواذر الآثار) .

(٤) كشف اليقين ص ٩٤ ص إيران .

(٥) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٣ ص ٣١٣ .

ويقول ابن الأثير كان مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت
ابن عبد الله ابن الزبير بن العوام منحرفاً عن علي (ع) أنه قال ^(١) .

ويقول ابن النديم : كان مصعب الزبيري وأبوه عبد الله من
شرار الناس متحاملين على ولد علي (ع) وخبر عبد الله مع يحيى
بن عبد الله المحض معروف ^(٢) وكان من حديثه معه أنه جاء إلى
الرشيد وأخبره بأن يحيى أراد على البيعة وقد سعى لنقض سلطانه ،
فجمع الرشيد بينهما فأكر يحيى ذلك وقال : إن هذا الزبيري ما زال
يريد الوثوب على الملك ، وقد خرج مع محمد ذي النفس الزكية
وهو القائل من أبيات :

قوموا بيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني حسن
ولم تكن سعائته إلا بغضاً لنا لا الحب لك ، ولو وجد أنصاراً
لخرج علينا جميعاً وإني مستحلفه فإن حلف فدمي لأمر المؤمنين
هدر ، فلما أراد أن يستحلفه تلكأ الزبيري فوكزه (الفضل) وقال : لماذا
تمتنع إن كنت صادقاً ثم التفت إليه يحيى وقال قل : (تقلدت الحول
والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي إن لم أكن صادقاً) .

فلما حلف به كبر يحيى وذكر حديثاً عن آبائه أنه ما حلف
أحد بهذا إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث ، وقبل أن ينتهي اليوم
الثالث أصابه الجذام ثم اسودّ حتى صار كالفحم الأسود وهلك بأقبح
حال ، ولما أدلوه في حفرته انخسف به القبر وظهرت رائحة منتنة ،
ولم يستطيعوا أن يسدوا الحفرة بأحمال الشوك حتى سقفت بالساج
ووضع عليها التراب ^(٣) .

(١) كامل ابن الأثير ج ٧ ص ١٩ حوادث سنة ٢٣٦ .

(٢) الفهرست ص ١٦٠ .

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٦٦ ، في أخبار الرشيد .

ويحدث الصدوق أن رجلاً استحلف الزبير بن بكار بين قبر رسول الله (ص) ومنبره فلما حلف ظهر به برص كثير وأبوه بكار ظلم علي بن موسى بن جعفر (ع) وتعدى فدعا عليه ، وفي الوقت وقع حجر فوقه فاندقت عنقه ، وأبوه عبد الله بن مصعب جرى له مع يحيى أمام الرشيد وذكر الحديث المتقدم ^(١) .

هذا حال الزبير بن بكار وعبد الله وابنه مصعب ، وأما الهيثم بن عدي الكوفي فعند البخاري والنسائي ويحيى بن معين أنه كذاب له مناكير غير ثقة فهو متروك الحديث ^(٢) .

وأما صالح بن حسان الأنصاري فعند البخاري والنسائي ويحيى ابن معين أنه منكر الحديث غير ثقة ولا مأمون النقل ^(٣) .

وأما أشعب الطامع فكان مولى لآل الزبير وأمه حميدة بالتصغير كانت مولاة أسماء بنت أبي بكر وكانت تدخل بيوت أزواج النبي (ص) وتحرش بيهنّ فأمر النبي بتعزيرها ، وقيل دعا عليها فماتت وحيث إن أشعب ولد بعد النبي (ص) فلعل بدعاء الرسول (ص) أصابها مرض اتصل بملاكها بعده (ص) ^(٤) .

وترى أشعب في بيت عائشة بنت عثمان بن عفان ومناوأة هؤلاء للأسرة العلوية غير خفي ، فإن من ضالتهم المنشودة أن يصموهم بكل شائنة وتأثير الولاء والتربية مما لا شك فيه إلا من عصمه الله تعالى .

(١) عيون أخبار الرضا ص ٣٤٠ .

(٢) لسان الميزان ج ٦ ، ص ٢٠٩ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٤٦ .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ج ٩ ص ٣٠٢ .

(٤) الإصابة ج ٤ ، ص ٢٧٥ .

مع أن الرجل (أشعب) من أهل المجون الذين ما تركوا الخلاعة
والتهتك فأحاديثه كلها من هذا القبيل ، إذا فأبي عبرة برواياته لا
سيما إذا كان من ينزه علوياً .

فهؤلاء إلى أضرابهم مثل مقاتل الذي يقول للمنصور : أتحب أن
أضع لك في فضل العباس بن عبد المطلب ^(١) وعوانة بن الحكم
يضع أخباراً في فضل بني أمية وعيسى بن داب يضع في فضل
العباسيين ^(٢) ولا تسأل عن سمرة بن جندب الفزاري الذي استماله
معاوية بالمال وكان عامل ابن زياد على البصرة ^(٣) ، وتولى شرطة
عبيد الله بن زياد في الكوفة وكان ممن يحرض الناس على الخروج
لحرب الحسين (ع) ^(٤) .

وهو صاحب النخلة في بستان الأنصاري فكان يدخل إليها
على حين غرة من الأنصاري وأهله فيأمرهم على حال لا يرضونه ،
وكلمما راجعه الأنصاري في الاستئذان عند الدخول لتستتر المرأة لم
يقبل فشكاه إلى رسول الله (ص) فكلّمه في الاستئذان فلم يقبل ،
فساومه عن نخلته بالكثير فأبى أن يبيع ، فقال (ص) : « دعها ولك
عذق في الجنة يد لك ، فأبى أن يقبل فعندها قال رسول الله
للأنصاري : « اذهب واقلعها وارم بها إليه فإنه لا ضرر ولا ضرار » ^(٥) ،

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ، ص ١٦٧ .

(٢) معجم الأدباء ، ج ١٦ ، ص ١٣٧ ، و ١٦٢ .

(٣) الطبري ج ٤ ، ص ١٣٢ .

(٤) شرح النهج الحديدي ج ١ ص ٣٦٣ .

(٥) فروع الكافي للكليني ج ١ ص ٤١٠ ، ومن لا يحضره الفقيه للصادق
ص ٢٥٢ باب الشفعة ، والفائق للزنجشيري ج ٢ ص ٨٠ مادة عضد طبع
حيدرآباد ، والمخلي لابن حزم ج ٩ ص ٢٩ مسألة ١٥٤٠ ، ومصابيح السنة
للبنغوي ج ٢ ص ١٨ إحياء الموات .

وهو أحد العشرة الذين قال النبي (ص) : « أحرکم موتاً في النار » ،
فمات سمرة آخرهم ^(١) .

وعلى هذه الطريقة سار المدائني فأكثر من الافتراء على أهل
هذا البيت الطاهر وشحنت الجوامع بمرويياته ، ويكفيه أنها سادت على
البسطاء ومن لا تثبت له في النقل .

وله في شأن مسلم بن عقيل أدهى ، وأمر وفي كتاب الشهيد
مسلم بن عقيل ص ٤٥ كشفنا العوار عن هذه الرواية وناقشنا فقراتها
فوضح ابتعادها عن الحقيقة ، وكأن الغاية الباعثة للمدائني أن يثبت
منزلة رفيعة في الكرم لابن هند فمشت هذه الأكذوبة على من لا
فقه له بمغازي هؤلاء الوضاعين والمدائني هو علي بن عبد الله بن أبي
سيف البصري المدائني البغدادي مولى سمرة بن حبيب بن عبد
شمس بن عبد مناف ^(٢) ويقول ابن حجر : إنه مولى عبد الرحمن بن
سمرة ^(٣) وعدم موافقة ولادة المدائني التي هي في سنة ١٣٥ لسنة
وفاة عبد الرحمن بن سمرة الواقعة في سنة ٥٠ لا يعيد هذا الولاء
بعد ما ينص ابن كثير على أن لعبد الرحمن أولاداً كثيرين ^(٤) ،
ويسمى ابن حجر بعضهم عبيد الله تغلب على البصرة في فتنة ابن
الأشعث ^(٥) فإطلاق الولاء لأبائهم عبد الرحمن أو لجدهم سمرة
صحيح بملاحظة أولاده .

(١) المعارف لابن قتيبة ص ١٣٢ .

(٢) معجم الأدباء ج ١٤ ص ١٢٤ طبعة ثانية .

(٣) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٥٣ .

(٤) البداية لابن كثير ج ٨ ص ٤٧ سنة ٥٠ .

(٥) الإصابة ج ٢ ص ٤٠١ ترجمة عبد الرحمن .

وإذا أوقفنا نصوص المؤرخين على أن عبد الرحمن من (الشجرة) التي أنتجت (معاوية) وكان من عماله على سجستان وغزا له خراسان ^(١) وبلخ وكابل ^(٢) والرخج وبست ^(٣) فلا نرتاب في سيره على أثر معاوية من التحامل على كل من ناوأه معاوية وهذه قضايا قياساتها معها .

ولا ريب أن الموالي يرثون هذه النزعة اللهم إلا أن يكبح الطغيان الخضوع لقانون الإسلام فيقف عند حدوده و [المدائني] المكثّر من خلق الأحاديث الرافعة للبيت الأموي والواضحة من قدر رجالات بيت الوحي والنبوة لا يتأثر بالأدب الإلهي ولا بنصائح النبي (ص) الثمينة ، ولأجل هذا ضعفه ابن عدي في الكامل ويقول ابن حجر : حديثه غير قوي وكان الزبير ابن بكار وابنه يحدثان عنه ^(٤) وعليه فلا يسع من يتحرى الحقائق الاعتماد عليه في مدح أو ذم إلا أن تدعم روايته قرينة جلية .

(١) الإصابة ج ٢ ص ٤٠١ .

(٢) تاريخ البعقوبي ج ٢ ص ١٩٣ طبع النجف .

(٣) كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٧٤ عليه مروج الذهب .

(٤) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٥٣ .



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

أول من وضع الحديث

لقد تجلّى لنا ونحن نسبر المدونات ونمحص الأحاديث أن أول من وضع الأحاديث الشائعة في ابنة الحسين (سكينة) مصعب الزبيري المتوفي سنة ٢٣٦ في كتابه «نسب قريش» لينصرف المغنون والشعراء عن ابنتهم سكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير التي تجتمع مع ابن أبي ربيعة الشاعر، والمغنيات يغنين لهم^(١) وزمر بها مرافقه في بغداد المدائني^(٢) المتوفي سنة ٢٢٥، وزاد عليها الزبير بن بكار وابنه وتلقاها المبرد المتوفي سنة ٢٨٥ عن هؤلاء الوضعاء وعنه أخذها تلميذه الزجاجي وغيره من دون تمحيص فأضلوا كثيراً من الكتاب والمؤرخين حتى رووها بلا اسناد موهمين أنها من المسلمين.

ثم جاء أبو علي القالي تلميذ الزجاجي الأموي الفكرة والعقيدة فسجل في أماليه ما تلقاه من أستاذه قصداً للخط من كرامة البيت العلوي^(٣) خصوصاً وقد نقل في نعمة الناصر عبد الرحمن الأموي

(١) أغاني ج ١ ص ٦٧ .

(٢) في الأغاني ج ١١ ص ١٢٧ نقل حديثاً عن المدائني عن مصعب بن عبد الله الزبيري .

(٣) سكينة بنت الحسين للفكيكي ص ١٥ حديث الشهر .

في الأندلس الذي استدعاه من بغداد ، واحتفل به في الأندلس فأكرم
مشواه وعزز منزلته فألف وكتب ^(١) على ما يروق للأمويين الذين نكل
بهم الهاشميون وبددوا ملكهم .

(١) ترجمة القالي في مقدمة الأماي بقلم محمد عبد الجواد الأصمعي .



أبو الفرج

لقد اتخذ أبو الفرج روايات من ذكرناهم حجة في نشر الشناعات والمنكرات ، وأفعم [الأغاني] بتلك الروايات التي شوهت الحقائق ولم تحفظ كرامة البيت العلوي ولا من حواه ، وأبو الفرج لم يتح له معرفة حقيقة هذا البيت وما يلزم من حواه من النفسيات الحميدة ولو عرف مقدار هذا العنصر الطاهر (آل الرسول) عليهم السلام وما منحهم الباري سبحانه من المآثر يوم صاغهم طاهرين من كل دنس ، مطهرين عن كل ما يزري بهم لما دون هاتيك الأخبار .

لكن الرجل تكيفت نفسيته بأخبار سلفه الأمويين الذين تسنموا عرش الخلافة من غير أي حنكة أو جدارة مع التخلع بارتكاب المآثم واجترأ السيئات وعمل الفجور ومعاقر الخمر ولم يكبحهم عنها حياء ونجل .

من أين نخجل أوجه أموية سكبت بلذات الفجور حياءها
نعم اعتنقوا الخلافة ولما يعلم الباحث ما الذي أهلهم لها
وملؤوا أعيابهم بوائق ومخاريق بلى كان المؤهل لها .
صلاية أعلاها الذي بلل الحيا به جف أو في الملك أسفلها الندى



هؤلاء رجال القوم وأما نساؤهم فحدث عنهن ولا حرج ، وما
عسى أن يقول القائل في : حمامة ، والزرقاء ، وهند آكلة الأكباد ^(١)
إلى بغيات وصاحبات رايات وريات مواخير إذا بلغن من الكبر عتياً .

وحديث ولادة بنت المستكفي الخليفة الأموي في الأندلس
مشهور فإنها كتبت على تاجها :

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتبعه تيهها
وأمكن عاشقي من لثم ثغري وأعطي قلبي من يشتهيها ^(٢)
فالرجل هذا سلفه وأصله وهو متشرب بأخبارهم وعاداتهم ولا
يهوى إلا من سار على نهجهم واتخذ طريقهم وبالطبع لا يميل إلى

(١) كانت المومسات أيام الجاهلية يضعن على أبواب دورهن أعلاماً يعرفن
الراغبين في البغاء أن هنالك طلباتهن ، وقد اشتهر بهذه الفعلة نساء منهن
الزرقاء جدة مروان بن الحكم كما في الفخري ص ٨٨ ، وتذكره الخواص
ص ١١٩ ، وفي ابن الأثير ج ٤ . ص ٧٥ يقال لعبد الملك وولده بنو الزرقاء
قصداً لعيبتهم بذلك ، وفي أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ١٢٩ جرى
كلام بين مروان وعمرو بن العاص فقال له عمرو : يا ابن الزرقاء ، فقال
مروان : قد كانت زرقاء فقد أنجبت وأدت الشبه إذ لم تؤده النابغة ، ومنهن
حمامة أم أبي سفيان كما في شرح النهج الحديدي ج ١ . ص ١٥٧ ،
ومنهن هند أم معاوية كما في ربيع الأبرار للزنجشيري في باب القربات ،
ومنهن سميرة أم زياد كما في تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٨٤ ، ومروج
الذهب ج ١ ص ٥٦ ، وابن خلكان بترجمة يزيد بن مفرغ ، ومنهن النابغة
أم عمرو ابن العاص كما في تاريخ أبي الفداء ج ١ . ص ١٨٨ ، وتذكره
الخواص ص ١١٧ ، والمحاسن والمساوي للبيهقي ج ١ ص ٧٠ ، وابن أبي
الحديد ج ٢ . ص ١٠٠ ، وثمرات الأوراق لابن حجة الحموي بهامش
المستطرف ج ١ ص ١١٣ ، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٤٧ .

(٢) شرح رسالة ابن زيدون بهامش شرح لامية العجم ج ١ ص ١١ مصر .



البيت العلوي الطاهر الشاني لهذا العنصر الأموي الحائد عن سنن الصراط السوي .

ولم يثبت تشييعه من طرق صحيحة وإن أرسله المؤرخون حتى انطلق على جملة من الشيعة فذكروه في رجالهم وذهب عنهم أن هذه الأكذوبة أمر دبر بليل ، إنما افتعلوها ليحملوا الشيعة أوزاراً مما أثبتته من المنكرات ومما يشهد بعدم وثوق أولئك المؤرخين بتشيعه مع إرسالهم له أنا نراهم يبخسون في تراجعهم حقوق علماء الإمامية ويرمونهم بالطامات من عيب في الدين أو نقص في المروءة أو مروق عن الورع ^(١) .

مع إكبارهم لكل من مال عن أهل البيت فإعظامهم هذا الرجل بالمدح البالغ حده مع وقوفهم على خلاعته وخفة عقله وبذاءة لسانه وفسق جوارحه ليس إلا لما ذكرناه من تحامله على أهل البيت ، ومن انضوى إلى رايتهم ودعا إلى مبدئهم واعترف بنزاهتهم إعلاماً بأن الرجل من الشيعة وهو أعرف بما هم عليه .

لكن النظرة الدقيقة في التاريخ تفيدنا أن الرجل كما أنه مرواني النسب مرواني النزعة ولذلك ألف لأقاربه الأمويين من ملوك الأندلس

(١) لاحظ العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل ص ٤٠ طبع مصر سنة ١٣٤٢ هـ تعرف الرجال الذين طعنوا فيهم ولم يأتوا بشيء سوى المبالاة لأهل البيت كما تعرف الرجال المائلين عن أهل البيت فلقد أكثروا من توثيقهم وإطرائهم وقد ذكر عن تهذيب التهذيب لابن حجر بترجمة عمر ابن سعد أنه قال : عمر بن سعد تابعي ثقة وهو الذي قتل الحسين ، ثم قال ابن أبي عقيل بعد هذا (لا حول ولا قوة إلا بالله)

إن كان هذا نبياً فالكل سب لا شك ربّي

كتباً وصيرها إليهم سرّاً فأنته الجائزة منهم سرّاً^(١) .

وأرسل كتاب الأغاني إلى الحكم الثاني المستنصر وهو في الأندلس قبل أن يخرج به إلى العراق فأرسل إليه الحكم ألف دينار من الذهب العين^(٢) .

على أنه ليس في كتبه وشعره أي صراحة بانتمائه إلى مذهب أهل البيت (ع) عدا إشعارات لا تعدو أن تكون تزلفاً منه إلى ملوك وقته آل حمدان وأمرائه ممن ينتمون إلى ولاء العترة الطاهرة وذرية الرسول (ص) ويصلون مادحيهم بعطائهم الجزيل .

ومن ذلك تأليف كتاب [المقاتل] فإنه ألفه إلى من عرفت من ملوك الشيعة طمعاً في وفرهم وحصناً لما رامه من المطاعن في أهل البيت حتى تبعد عنه وصمة الافتعال .

وقد اشتمل كتاب المقاتل على كثير من الموضوعات .

وأما كتابه [الأغاني] فاسمه وموضوعه وسر أغواره شواهد واضحة على انحرافه عن الطريقة المثلى واندفاعه إلى تدوين ما تحدو إليه الأهواء والشهوات ، فهو كما قال فيه صاحب [روضات الجنات] بترجمة الرجل : (إن من يتصفحه لم ير فيه إلا هزلاً وإضلالاً وبقصص أرباب الملاهي اشتغالاً وعن علوم أهل البيت اعتزالاً) .

(١) معجم الأدباء ج ١٣ . ص ١٠٠ ط ثاني ، وتاريخ أبي الفداء ج ٢ .
ص ١٠٨ و مرآة الجنان لليافعي ج ٢ . ص ٣٥٩ .

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي ص ١١ ترجمه عن الإسبانية حسين مؤنس ، ص ٣٠
من ترجمة أبي علي القالي بقلم محمد عبد الجواد الأصمعي أول الأمالي
طبعة دار الكتب العربية .

ويقول القاضي محمود بن محمد عرنوس : إن كتاب الأغاني اشتمل على كثير من الأخبار الواهية بل الموضوعة ^(١) .

وأما مقام أبي الفرج في الحديث والرواية فكما حدث الخطيب البغدادي عن أبي عبد الله الحسين بن محمد بن القاسم بن طباطبا العلوي قال : سمعت أبا الحسن النوبختي يقول : كان أبو الفرج الأصهباني أكذب الناس إنه يدخل سوق الوراقين وهي عامرة مملوءة بالكتب فيشتري كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منه ^(٢) .

وقال ابن حجر : قد اتهم أبو الفرج بكثرة ما كتب والظاهر أنه صدوق ^(٣) .

وهذا الاستظهار منه يرشدنا إلى شك العلماء فيه وإلا لذكر من يعتمد عليه ويوثقه ويجزم به ولم يجعله محل الاستظهار .

فهذا ابن الجوزي : لا يثق برواية أبي الفرج محتجاً بأنه يصرح بكتبه بما يوجب الفسق عليه وتهاونه بشرب الخمر ، ورعا حكي ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب [الأغاني] رأى كل قبيح ومنكر ^(٤) .

وسجل ابن كثير الحنبلي هذه العقيدة في أبي الفرج من دون تعقيب ^(٥) .

(١) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٨٢ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١١ . ص ٣٩٩ .

(٣) لسان الميزان ج ٤ . ص ٢٢١ .

(٤) المنتظم ج ٧ . ص ٤٠ حوادث سنة ٣٥٦ .

(٥) البداية ج ١١ . ص ٢٦٣ .

ويكفي في انخيازه عن الورع بذاعة لسانه وسبابه المقذع وهجائه
الناس واستهائته أكل لحومهم والنيل من الأعراض فهو من المخالفين
للإمامية قطعاً ، وأنه من المتورطين في السيئات المتحاملين على
المؤمنين بالمنكرات ولم تخف هذه الظاهرة على العلامة الحلبي فذكره
في القسم الثاني من الخلاصة المعقود لمن يتوقف في رواياته .

(مَنْ يُضِلِّ اللّٰهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ) ^(١) .

(١) الأعراف ، الآية ١٨٦ .

نظرة الدكتور زكي مبارك في الأغاني

إن كلمة الأستاذ زكي مبارك صورت الرجل وكتابه الأغاني بما يفيد القارئ زيادة بصيرة مما عليه من الخلاعة والمروق عن الدين وفراغ الكتاب [الأغاني] عن الحقائق التاريخية .

قال في وصف الكتاب :

إن في مقدمة كتاب الأغاني عبارات صريحة في أن المؤلف قصر اهتمامه على امتاع النفوس والقلوب والأذواق ، فكتابه مجموعة تغذي بها الأندية ومجامع السمر ومواطن اللهو ومغاني الشرب ، وقد اهتم بالغناء الذي عرف له قصة تستفاد وحديثاً يستحسن وعلل ذلك بقوله : إذ ليس لكل الأغاني خبر نعرفه ولا في ما له خبر فائدة ولا لكل ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويلهي السامع .

وهذا التعبير هو الوصف الصادق لما اختاره الأصهباني أن يدور عليه كتابه حين أراد أن يقدم ما راقه من أيام العرب وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام ، وخصوصاً إذ لاحظنا أن كلامه يشعر بأنه مستعد لإهمال ما فيه بعض الفائدة إذ خلا من ذلك الرونق الذي يروق الناظر ويلهي السامع ، فهو إذن يساير القراء المتطلعين إلى النواحي الطريفة من أخبار الملوك والخلفاء والوزراء



والكتاب والشعراء ولهذا النحو في التأليف قيمة عظيمة إذا فهمه القارئ على الوجه الصحيح .

ولكن الخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أن روايات الأغاني قيمة تاريخية وأن يبنوا على أساسها ما يشاؤون من حقائق التاريخ .

وقد جاءت أحاديث الأغاني مروية بالسند والرواية بالسند شيء ساحر فتن به كثير من الناس وظنوه علماً دقيقاً له آداب وشروط واعتماداً على هذا العلم الدقيق اطمأن كثير من الباحثين إلى روايات الأغاني ، فضلوا وأضلوا في حقائق التاريخ .

ويشهد له أن صاحب الأغاني حدث بسنده عن ابن أخ رزقان عن أبيه قال أدركت مولى لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً فقلت له حدثني عن عمرو بحديث غريب .

وكلمة غريب لها معناها فيما نحن بسبيله من أخذ الرواة بالتلفيق والاختلاق فإن البحث عن الأوضاع الغريبة من أحاديث ابن أبي ربيعة تدل على ظمأ النفوس إلى النادر المستطرف من القصص والأحاديث وما عسى أن يكون ذلك الخبر الغريب ؟ هو خبر يشبه من أكثر نواحيه قصة حج أبي نواس التي اخترعها ابن دريد .

وقد استمر صاحب الأغاني ينقل من أخبار عمرو بن أبي ربيعة ما طاب له من غير نقد ولا تمحيص ، ولكنه فطن في بعض ما رواه إلى تلفيق الرواة حين عرض إلى تزويج الثريا وخروجها إلى مصر وعمر غائب فقال :

[وهذا الخبر عندي مصنوع وشعره مضعف يدل على ذلك ولكني ذكرته كما وقع إلي] .



وهنا يدلنا صاحب الأغاني على ارتيابه في بعض الأخبار ولكن لماذا يذكر ما ارتاب فيه كما يقع إليه من دون تمحيص وتحقيق ، نعم أراد أن يقدم ما يروق الناظر ويلهي السامع كما ذكر في مقدمة كتابه هذا ولو مضينا نحصي ما في روايات الأغاني من التلفيق لطال بنا القول فلنكتف بهذه الإشارة .

هذا ما يتعلق بكتاب الأغاني وأما ما يتعلق بأبي الفرج نفسه فنقول :

إن الأصبهاني كان مسرفاً أشنع الاسراف في اللذات والشهوات وقد كان لهذا الجانب من تكوينه الخلقي أثر ظاهر في كتابه ، فإن كتاب الأغاني أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون ، وهو حين يعرض للشعراء والكتّاب يهتم بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاقهم الشخصية ويهمّل الجوانب الحديثة إهمالاً ظاهراً يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزاة والتجمل والاعتدال .

وهذه الناحية من الأصبهاني أفسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه .

وإن إكثار الأصبهاني من تتبع سقطات الشعراء وتلمس هفوات الكتاب جعل في كتابه جواً مشبعاً بأوزار الإثم والغواية وأذاع في الناس فكرة خاطئة هي اقترن العبقرية بالنزق والطيش والخروج من رعاية العرف والدين .

ولو خلينا الأخبار المروية جانباً ونظرنا فيما حدث به أبو الفرج عن نفسه لعرفنا مبلغ حذقه في وضع الأقايص .

قال : كنت في أيام الشيبية والصبأ ألف فتى من أولاد الجند في



السنة التي توفي فيها معز الدولة وولي بختيار ، وكانت لأبيه حال كبير ومنزلة من الدولة ورتبة ، وكان الفتى في نهاية من الحسن وسلاسة الخلق وكرم الطبع يحب الأدب ويميل إلى أهله ، ومضت لي معه سير لو حفظت لكانت كتاباً مفرداً ، وقد كنت آتي إليه فيدخلني إلى حجرة لطيفة كانت مفردة له فنجتمع على الشراب والشطرنج وما أشبههما فأتيته يوماً وجلس على دكة بباب داره منتظراً له ولما أبطأ عليّ قمت لأجل لقاء صديق ثم أعود ، فهجس لي أن كتبت على الحائط الذي كنا نستند عليه .

يا من أظل بباب داره ويطول حبسي لانتظاره
وحياة طرفك واحوراره ومجال صدغك في مداره
لا حلت عمري عن هواك ولو صليت بحرّ ناره
فلما عاد ووقف على الأبيات غضب من فعلي لئلا يقف عليه
من يحتشمه وكان شديد الكتمان خصوصاً من أبيه فكتب تحتها :

(ما هذه الشناعة ومن فسح لك هذه الإذاعة وما أوجب خروجك عن الطاعة ، ولكن أنا جنيت على نفسي وعليك ملكتك فطغيت وأطعتك فتعديت ما أحششم أن أقول هذا تعرض للإعراض عنك والسلام) .

فعلمت أنني قد أخطأت وسقطت . شهد الله . قوتي فأخذتني الندامة والحيرة ثم أذن لي فدخلت فقبلت يده فمنعني وقلت يا سيدي غلطة غلطتها وهفوة هفوتها فإن لم تتجاوز عنها وتعف هلكت فقال لي : أنت في أوسع العذر بعد أن لا يكون لها أخت .

ولم تمض إلا مديدة حتى قبض على أبيه وهرب فاحتاج إلى الاستتار فلم يأنس هو ولا أهله إلا أن يكون عندي فأنا على غفلة إذ



دخل في خوف وإزار فكادت مرارتي تنفطر فرحاً فلقيته أقبل رجليه
وهو يضحك ويقول : يأتيها رزقها وهي نائمة هذا يا حبيبي بخت من
لا يصوم ولا يصلي في الحقيقة ، وكان أخف الناس روحاً وبتنا في
تلك الليلة عروسين لا نعقل سكرأ واصطحبنا وقلت هذه الأبيات :

بت وبت الحبيب ندماني من بعد نأي وطول هجران
نشرب فضية معتقة بجانة الشط منذ أزمان
وكلمنا دارت الكؤوس لنا ألثمني فاه ثم غناني
الحمد لله لا شريك له أطاعني الدهر بعد عصيان
ولم يزل مقيماً عندي نحو شهر حتى استقام أمر أبيه ثم عاد
إلى داره ، فهذه الأخبار التي رواها أبو الفرج عن نفسه تعين اتجاهاته
الدوقية في الحياة ومن هنا جاء غرامه يتعقب أخبار الخلاعة والجحون
فيمن ترجم له من الشعراء انتهى باختصار ^(١) .

فإذا كان هذا مقام أبي الفرج في الدين والورع والعفة ومقام
كتابه في الحقائق فهل تبقى قيمة لما يحدث فيه ما لم يدعم بقرائن
صحيحة ، خصوصاً بعد أن عرفنا حال من يحدث عنهم ويعتمد في
كتابه على روايتهم كآل الزبير وأشعب الطامع والهيثم بن عدي
وصالح بن حسان إلى أمثالهم من مجهولين .

وإنك لتجد في هذه الرسالة النقل عن كتاب الأغاني فهو من
باب ألزمهم بما ألزموا به أنفسهم أو لأن تلك النقل لا تنافي شيئاً
من مقام من نقل عنه ، وليس النقل للإعتماد على الكتاب أو على
ما فيه من روايات لم نعرف حال سندها .

(١) الثغر الفني ج ١ ، ص ٢٣٥ وص ٢٤٤ ، وروى القصيدة ياقوت في معجم
الأدباء ج ٥ ، ص ١٦٠ .



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

رجال الأغاني

إني لا أجد القارئ بعد هذا البيان الضافي مرتاباً في كذب ما حدث به أبو الفرج في حق السيدة (سكينة) ابنة سيد شباب أهل الجنة الحسين ابن أمير المؤمنين (ع) فإن الأحاديث التي جاء بها وجدناها مروية عن ذكرناهم من آل الزبير وأمثالهم من المعروفين بالافتعال أو العداوة لآل الرسول (ص)، ولم يردعهم أي رادع عن الكذب الذي هو أقبح المعاصي ومفتاح كل شر وطريق يسلك به إلى الفتن ويلحق البغضاء والإحـن وعثرة في سبيل النجاح والسعادة ولذلك حرّمته الشريعة (كتاباً وسنة) وعضدها العقل وإجماع المسلمين .

فلا تقف على صاحب مروءة يكذب في قوله أو خدن شرف يمين في حديثه أو أخي بصيرة يفتعل في قضيته أو رب حجي يتقول فيها يقول استقباحاً منهم لتلك الشنعة المذهبة للاعتبار المزيجة لماء الوجه المسقط لمنصة الاعتماد ، وأقبح مصاديق الفرية والافتعال إذا كان على لسان صاحب الشريعة أو من يحذو حذوه من خلفاء المعصومين (ع) فإن فيه علاوة على القبح الذاتي ادخال ما ليس من الشريعة فيها ، وهذا هو التشريع المحرم والبدعة التي لا تقال عثرتها إن تعلق الكذب بحكم من أحكام الشريعة .



وإن كان الكذب في ثناء رجل لا يستحقه ففيه إغراء بالجهل وإن كان في نسبة الفاحشة إلى مؤمن فذلك إيذاء وهتك الستر .

وأشد أفراد الكذب إذا كان وقية في الذرية الطاهرة آل الرسول (ص) الذين شاء لهم المولى سبحانه حسن السمعة وشرف المخبر وهو أجر الرسالة الذي صدر الأمر به (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**) ^(١) فإنه عام لسائر أفراد الذرية تكريماً لصاحب الدعوة الإلهية وتمريناً للملأ الديني على البخوع لعامة بنييه ، وردعاً للأغرار منهم عما لا يليق بساحة سلفهم وشرفهم الوضاح .

وقد عرفت الحديث عن النبي (ص) في إكرام أولاده : الصالح لله والطالح له وإن الولد العاق يلحق بالنسب ، كما عرفت أن السياسة القاسية في العهد الأموي والعباسي استهوت رجالاً جرهم الطمع إلى استنزاف ما في أيدي القوم من الثراء المتدفق ، فدرسوا في الأحاديث خزائناً تندى منها جبهة الإنسانية قصدوا بها الحط من مقام البيت العلوي عن مستوى الفضيلة فانطلت تلكم المخازي على الأجيال المتأخرة فحسبوها مروية عن صاحب الرسالة ، وعن عظماء الصحابة أو أنها من القضايا والحوادث التي لها نصيب من مستوى الحقيقة .

ومن هنا وضع العلماء علم الرجال لتمييز أولئك الدساسون من غيرهم ، وإن محاورة الحتات بن يزيد أبو منازل مع معاوية تفيدها فقهاً بما عليه ابن هند من بذل الأموال لمقاصده وغاياته ضد أهل البيت ، فإنه وفد مع الأحنف وجارية بن قدامة على معاوية فأعطى معاوية كلاً من الأحنف وجارية مائة ألف وأعطى الحتات سبعين ألفاً فعتب عليه حيث أنقصه عن صحبه ، فقال معاوية : إني اشتريت

(١) سورة الشورى ، الآية ٢٣ .

منهم دينهم ووكلت إلى رأيك في عثمان فقال الحتات : فاشتر مني ديني مثلهم فأتم له الجائزة (١) .

وسمع الأحنف رجلاً يقول لمعاوية لو لم تول يزيد أمور المسلمين لأضعتها ، فعتب عليه ، فقال الرجل : إني أعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه ولكنهم استوثقوا من هذه الأموال بالأفقال (٢) .

وعلى هذا فهل ترى هؤلاء إلى أمثالهم يتورعون عن موافقة الخلفاء بافتعال أحاديث وقضايا توافق رغباتهم ، وهل يمكن للكاتب الركون إليهم في نقل الحقائق ، وقد عرفت حديث (مقاتل) الذي ملئت الطوامير بمروياته مع المنصور فإنه قال له : إذا شئت وضعت أحاديث في فضل العباس ولك (٣) .

إني لا أستغرب من هؤلاء الرواة المتروكة أقوالهم بنص علماء الرجال إذا تحدثوا بما سولت لهم نفوسهم مما دب ودرج ، وإنما الغريب من مؤرخ يزعم أنه يتحرى الحقائق ثم يستند إلى المتفككين بقذف المسلمين المحبين لإشاعة الفاحشة .

ولم يغيب عنه ما في تدوين هذه المفتريات من الخروج على قدس الكتاب المجيد المانع من هتك ستر المؤمن ونسبة القبيح إليه وكيف يغيب عنه ، وكل مسلم يقرأ نهاره وليله قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٤) .

(١) الطبري ج ٦ ، ص ١٣٥ .

(٢) ابن خلكان بترجمة الأحنف .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٣ ، ص ١٦٧ .

(٤) سورة النور ، الآية ١٩ .

والسر فيه أن كشف العوار يوقع النفرة بين الناس ويؤول إلى التباغض ويفت في عضد الاجتماع ويفك عرى الوئام ويؤدي إلى اختلال النظام ، ولهذا حرم سبحانه وتعالى (الغيبة) التي هي ذكر الشخص بما يكره و (النيمة) وهي السعاية بين الاثنين بنقل قول السوء من كل منهما للآخر وهكذا ما يجري مجراهما من المحرمات المنافية لحزمة المؤمنين الملقحة للعداوة بينهم المقلقة للسلام .

وفي الحديث عنه (ص) : لو تكاشفتما لما تدافتما ^(١) فإن النكتة فيه أن كشف السرائر وإيقاف الناس عليها يوجب النفرة والمباينة والاستتقال حتى من دفنه وتشيعه ولو يشاهده عرضة للكلاب .

فإشاعة الفاحشة كما يستوجب تلك الأمور أيضاً يضاد الإرادة الإلهية المستتعبة لرأفة المولى تعالى ولطفه وكرامته للفتن والشرور ونشوب الإحن فالمرتكب لها محارب لله تعالى غادر لحقوق الناس بتلك المغبات الوخيمة وللتحفظ عن هذه الشائنة لم يكتف المولى سبحانه بالوعيد الأخروي حتى أضاف إليه العقاب الدنيوي ، وهو الحد إن كان قذفاً بالزنى واللواط والسحق ، والتعزير إن كانت الفاحشة المذاعة في الناس قذفاً بغير ذلك فقال تعالى : (**لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**) ثم نبه جلّ شأنه على شيء دقيق فقال (**لِلَّهِ يَعْلَمُ**) ما تكنه الضمائر من المحبة لإشاعة الفاحشة وإظهار ما يريد الله ستره « وأنتم لا تعلمون » ما يترتب على ذلك من الخطر والفساد .

فالنهي عن إشاعة الفاحشة كما يتوجه إلى الرواة يشمل من يدون أقوالهم من دون تثبيت في النقل فيرسلها في كتابه لأغراض

(١) تهذيب كامل المبرد ج ١ ، ص ٥٤ ، وعيون أخبار الرضا للصدوق ص ٢١٦ ، والأمال للصدوق ص ٢٦٧ مجلس ٦٨ .

دنيوية وشهوات نفسانية ، وهذا جهل وطغيان فإن المولى الجليل القابض على أزمة العباد القادر على الانتقام منهم عند التمرد على قدسه ومخالفة أمره ونهيهِ يصفح عنهم ويتلطف عليهم بفيض بره وإحسانه ويخصهم بالخير كله ويشي بهم بالثواب الجزيل تجاه عمل ضئيل ، ويصفح عن المآثم الكبيرة طيلة عمر العبد إن صدرت « التوبة » من صميم الخاطر والندم على ما فرط في جنب الله تعالى والعزم على أن لا يعود إلى مثله ، اللهم إلا أن يغتصب العبد حقوق الناس فالتوبة عنه إما بارضائهم أو إرجاعها إليهم ، وفي الحديث : « لو علم الله تعالى أن عبداً ينب إليه آخر الدهر لمد في عمره إلى ذلك الوقت » ^(١) .

وإن تعجب فعجب أن العبد يعصيه وهو في قبضته وفي مستوى قدرته يعيش ويمرح ويسرف ويقترف الآثام ، لكنه سبحانه يفيض عليه نعمه ظاهرة وباطنة لعله يؤوب إلى السعادة ويتوب عما اجتراه من السيئات ، ولو كانت حالة العبد هذه مع أيه العطوف عليه وأمه الحنون لرفضاه .

فكما أنه جلّ شأنه يحب للمؤمن النعيم الخالد عطاء غير مجذوذ أيضاً يود له بقاء الحرمة بين الناس ، وإسدال الستر على عثراته وهذا هو الجميل في لسان المعصوم « يا من أظهر الجميل وستر القبيح » .

(١) شرح الصحيفة للسيد علي خان ص ٣٤٦ روضة ٣٧ .



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

سكينة من ذوي القربى

لقد وضح من جميع ما ذكرناه للمتأمل البصير أن في التحدث عن سكينة بنت الحسين (ع) وأمثالها من أهل هذا البيت الطاهر بما يشين الأخلاق والدين ، كما أنه إشاعة للفاحشة الممنوع منها بنص الكتاب الكريم ، وأحاديث الرسول (ص) فيه خروج على حكم القرآن الناص على مودة القربى .

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ولم يخف

السري في هذا الحكم لأن سادات هذا العنصر الطاهر لما كانوا منبع أنوار الهداية وعندهم مفاتيح الرشاد ، ومن ناحيتهم ثبتت المعارف الإلهية وبأياديهم الناصعة يهتدي الناس إلى سنن النجاح فرض الله تعالى حبهم المؤدي إلى اتباع تعاليمهم وجعله أجراً للرسالة .

وتعميم الحكم لسائر أفرادهم الذين لم يقطع بانحراف عقيدة أحدهم عما جاء به جدهم الأعظم (ص) لأجل تمرين المألأ الديني على البخوع لعامتهم الحادي إلى سلوك مناهجتهم وردعاً للأغرار منهم عما لا يليق بسلفهم وشرفهم الواضح .

مضافاً إلى ما ورد من الأحاديث الكثيرة بإكرامهم ومساعدتهم على النوائب ودفع الشرور عنهم ، وأن إكرام غير الصالح إنما هو



لأجل الرسول الأقدس وتكريماً لمقامه (لأجل عين ألف عين تكرم) .

فإذا كانت الحالة هذه في الذرية الطاهرة وإن نقم من بعضهم
بعض الأعمال فكيف بالأبرياء منهم الذين لم يسجل العلم اليقيني
عليهم ما يشين الدين والأخلاق والمروءة غير أحاديث عرفنا منشأها
ومستقاهها .

ومن هؤلاء بضعة النبوة سكينه ابنة الحسين فإن الوقعة فيها
بتلك السفاسف التي سجلها أبو الفرج وغيره كان مصدرها آل الزبير
وأمثالهم المعروفين بالعداء لأهل البيت (ع) :
أكرم بعين المصطفى جدهم ولا تهن من آله أعيننا



سكينة إلى كربلاء

تنص دراسات التربية على تأثير الناشئ بنفسيات البيئة ونزعاتها تكفيها بما جبل عليه رجالات البيت من الطموح إلى الرقي في العلم والترفع عن الدنيا ، فالعامل الوحيد لتكيف الناشئ بالصفات الفاضلة أو أضدادها ما يتدرسه أرباب البيت المتربي فيه وليدهم ، ومن الضروري أن يتخذ الخلف طريقة سلفه ويتحرى التخلق بما عليه من ملكات إما أن تأخذ به إلى أعلى مستوى الثقافة أو تنحط إلى هوة الضعة ، وفي الغالب تجد المشاكلة بين الجيل الأول والثاني في المعارف والآداب والصناعات والعادات ، اللهم إلا أن يسود ذلك تطور يغلب تلك المقتضيات .

وإذا فتشنا بيوتات العالم فلا نجد بيتاً يتحرى المناهج الإلهية والسير على ضوء تعاليم الشريعة الخالدة إلا البيت العلوي ، لأنه ضم رجالات العصمة المودع عندهم أسرار التكوين وعلم الطبائع وفقه الشريعة والنظم الاجتماعية منحة من منشيء كيأنهم جل شأنه ، فمن هذا البيت تؤخذ المعارف ويدرس الخلق الكامل :

بيت علا سمك الضراح رفعة	فكان أعلى شرفاً وأرفعا
بيت من القدس وناهيك به	محط أسرار الهدى وموضعا
أعزه الله فما تهبط في	كعبته الأملاك إلا خضعا



فكان مأوى الملتجى والمرتجى فما أعز شأنه وأمنعا^(١)
وإذا كان أئمة الهدى من عترة المصطفى الذين جعلهم الله
حجة على البشر بعد النبوة يعلمون الأمة ما فيه مناجهم ويأخذ
بهم إلى سعادة الدارين ، فلا يضمنون بمن يتربى في حجورهم من
ذكور وإناث عن إضاعة الطريق الموصل لهم إلى الغايات السامية
والتكبد عما لا يلائم خطتهم ، ويستحيل على من تغذى در الإمامة
تربى في حجور الطاهرين ودرس التعاليم الإلهية الاسفاف مع أهل
المجون والأهواء .

والسيدة سكينة حضنتها الحجور الزاكية وتلقّت من أبيها سيد
الشهداء التعاليم الراقية والآداب الإلهية ودرست القيم الإسلامية
وجارت في المجاهدة والرياضة جدتها الصديقة وعمتها العقيلة حتى
حازت أرقى مراتب العبادة التي يرضاها رب العالمين ، ومن هنا منحها
الإمام الحجة الواقف على نفسيات البشر ومقادير أعمالهم أرقى صفة
تليق بامرأة كاملة تفانت في طاعة الله تعالى وهي « خيرة النساء » .

من هذا وذاك صحبها « أبي الضمير » إلى محل شهادته في
جملة من انتخبهم الباري سبحانه دعاء لدينه فشاهدت بين تلك
الثنايا والعقبات الآيات المنذرة بتدابير النفوس ، وتخاذل القوم عن
نصر الهدى واجتماعهم على إزهاق نفس ربحانة الرسول (ص)
وإراقة « دمه الطاهر » ، وأنهم قادمون على عصبة لا ترقب فيهم إلا
ولا ذمة فلم تعبأ بتلكم الأحوال التي يشيب لها فود الطفل تسليماً
للقضاء وطاعة للرحمن عز شأنه .

(١) من قصيدة في الصديقة الزهراء للعلامة السيد محمد حسين الكيشوان
النجفي .

وشاهدت أولئك المناجيد مضرجين بالدماء مقطعين الأوصال
وبينهم علة الكائنات ومدار الموجودات أبو عبد الله « الحسين » (ع) :
وقد مثلوا فيه بكل مثلة .

ووجهوا نحوه في الحرب أربعة السهم والسيف والخطي والحجرا
فقابلت تلكم الفوواح برياطة جأش وهدوء بال ، ولولا
انخراطها في الاستغراق مع الله تعالى وتفانيها في الطاعة له كما
أخبر أبوها الحجة (ع) بقوله : « الغالب عليها الاستغراق مع الله »
لأنه قد قواها وساخ صبرها وتبيل فكرها وفقدت مشاعرها ، ولكنها
بالرغم من ذلك لم يرعها ذل الأسر ولا شتاتة العدو وتراكم الرزايا
وأنين الأطفال وبكاء الفواق فلم يصدر عنها ما لا يتفق مع الخضوع
للاصلح المرضي لله تعالى .

ولو كان « أبي الضيم » يعلم بضعف عزمها وتفكك صبرها لما
رافقها إلى محل تضحيته لئلا يتسبب من تلكم الأهوال الوقوع في
خطر عظيم .

إن ذلك المشهد الدامي الذي لم يمر على نبي أو وصي وقابله
شهيد الدين بصير تعجبت منه ملائكة السموات كما في نص زيارته
ترك الجفون قرحى والعيون عبرى والقلوب حرى إلى يوم الانقضاء
على حد تعبير الإمام أبي الحسن الرضي (ع) ^(١) ويقول رسول الله
(ص) إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً ^(٢) ،
والسيدة سكينه أبصرت كل ما جرى في ذلك اليوم وسمعت صرخة
أبيها المظلوم واستغاثته ، وشاهدت حرائر النبوة ومخدرات الإمامة

(١) أمالي الصدوق ص ٧٦ مجلس ٢٧ .

(٢) مستدرک الوسائل ج ص ٢١٧ .

يتراکضن في تلك البیداء المقفرة حين شبت النار في مضاربهم ولا
حمامي يلذن به إلا زين العابدين وقد انهكته العلة .

فلو أن أيوباً رأى بعض ما رأى لقال بلى هذا العظيمة بلواه
فلم يتضعض صبرها ولا وهي تسليمها للقضاء الجاري ولم
يتحدث المؤرخون عما ينافي ثباتها على الخطوب في الكوفة والشام
مع ما لاقته من شماتة ابن مرجانة وابن ميسون ونكته بالعود رأس
الحسين ، وأهل المجلس يشاهدون الأنوار تتصاعد من أسارير جبهته
والروائح العطرة تفوح منه وهو يرمق حرمه بعينه ، ولما أمر يزيد
بقتل رسول ملك الروم لأنه أنكر عليه فعلته نطق الرأس المقدس
بصوت جهوري (لا حول ولا قوة إلا بالله) (١) .

فأخذت الناس الحيرة وراح الرجل يحدث جليسه بالضلال
الذي عمهم ، وتحدثت أندية الشام بهذا الحادث الذي لم يسمع بمثله
قبل يوم الحسين ، ولما رجعت السيدة الطاهرة سكية إلى المدينة
أقامت في بيت أبيها أبي عبد الله مع نساء قومها لابسات السواد
يكنن الحسين والبهايل من آل عبد المطلب وزين العابدين يعمل لمن
الطعام (٢) .

ويحدثنا أبو عبد الله الصادق (ع) عن حزن الفاطميات بقوله :
ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رئي الدخان في بيت هاشمي
خمس حجج إلى أن قتل عبيد الله بن زياد (٣) .

(١) مقتل الحسين أو حديث كربلاء ص ١٥ الطبعة الثانية ، وفيه ص ٤٠١ ذكرنا
أسرار كلام الرأس المقدس .

(٢) المحاسن للبرقي المتوفي سنة ٢٧٤ ج ٢ ، ص ٤٢٠ .

(٣) البحار للمجلسي المتوفي سنة ١١١٠ ج ١٠ ص ٢٩٣ طبع الكبيني إيران .

عاشت السيدة سكيّنة في بيت أخيها السجاد (ع) الذي لم يزل
ليّله ونهاره باكي العين على سيد شباب أهل الجنة ، وكان جوابه لمن
يطلب منه التخفيف لئلا تذهب عيناه : إني ما نظرت إلى عماتي
وأخواتي إلا تذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة وكان هذا دأبه في
البكاء على « قتل العبرة » إلى أن استشهد صلوات الله عليه سنة
٩٥ ، وإذا كان عميد البيت لا يفتر عن النياحة مدة حياته فما ظنك
بمن حواه البيت من النساء ومن شأنهن الرقة والجزع ، والسيدة سكيّنة
تأوي هذا البيت المفعم بالحزن والشجاء وفي مسامعها نشيج أخيها
الحجة وتبصر تساقط دموعه على خديّه فتشاركه في الزفرة وتجاوبه
بالعبرة ولا تبأرح فأكترها الهياكل المضرجة بالدماء وقد شاهدتهم
صرعى مقطعين الأوصال .

قد غير الطعن منهم كل جارحة إلا المكارم في أمن من الغير
فهل تبقى لها لفتة إلى لوازم الحياة فضلاً عن عقد مجالس
الأنس والفرح بلى كانت السيدة العفيفة مدة حياة أخيها الإمام وبعده
باكية نادبة على أبيها المظلوم الممنوع من الورود وأبو عبد الله حياة
الكون وري الوجود (والماء يصدر عنه الوحش رياناً) .

ولكن آل الزبير تحدثوا وافتعلوا وأكثروا (فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا
وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ) (١) .

(١) سورة الزخرف ، الآية ٨٣ .



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الغناء تحت الحكم

لا ريب في حرمة الغناء في الشريعة الإسلامية وهو الصوت المشتمل على الترجيع والطرب سواء انظمت إليه آلاته أو كان مجرد الصوت المهيج ، ولا فرق بين أن يقع بالشعر أو غيره وكما يحرم فعله يحرم استماعه وقد دل على حرمة الذاتية وإن لم يقترن بمحرم الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، وفي الكتاب آيات ثلاث فسرتها السنة بدم الغناء وحرمة وتبكيته فاعله ففي الحج / ٣٠ (**وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**) وفي لقمان / ٦ (**مَنْ يَشْتَرِ لَهُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**) وفي الفرقان / ٧٢ (**وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**) واتفقت تفاسير الشيعة الحاككة قول أبي عبد الله الصادق (ع) على أن المراد من الزور وهو الحديث هو الغناء ولم يتباعد عنه المفسرون من أهل السنة ففي تفسير الألوسي روح المعاني ج ١٩ ص ٥١ وج ٢١ ص ٦٧ ، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٨ ، وتفسير الخازن ج ٥ ص ٩١ ، وأسباب النزول للواحدي ص ٢٦٠ أن لهو الحديث والزور هو الغناء ، وقال الألوسي : لهو الحديث ذم للغناء بأعلى صوت .

وأما السنة ففي مفتاح الكرامة في المكاسب المحرمة عند ذكر حرمة الغناء قال : وردت خمسة وعشرون رواية صحيحة ، وفي الجواهر أنها متواترة عن السجاد والباقر والصادق (ع) دالة على حرمة الغناء مطلقاً ،



وإن لم يقترب بمحرم ولفظها : الغناء عيش النفاق ، ومن الكبائر والبيت الذي يغني فيه لا يؤمن من الفجعة ولا يجاب فيه الدعاء ولا يدخله الملك ، ولا ينظر الله بالرحمة إلى من اجتمع في مجلس الغناء ، وينزع الله الحياء عن المغني فلا يبالي بمقاربة أهله الرجال ، والمستمع للغناء شريك مع المغني في الإثم ، والمغنية ملعونة وكسبها حرام .

ومثله وردت أحاديث أهل السنة المروية في مسند أحمد ج ٥ ص ٢٦٤ و ص ٢٦٨ ، وفي كنز العمال ج ٧ ص ٣٣٧ .

ويتحدث الكليني في الكافي باب الغناء أن رجلاً قال لأبي عبد الله الصادق إني أدخل الكنيف ولي جيران عندهم حوار يتغنين ويضربن بالدف فرمما أطلقت الجلوس لاستماعهن فقال : لا تفعل ، قال الرجل : إنما هو سماع بأذني ، قال أبو عبد الله (ع) : أما سمعت قول الله عز وجل : (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) ^(١) قال : بلى ، قال : استغفر الله وأغتسل وصل ما بدا لك لأنك كنت على أمر عظيم ما أسوأ حالك لو مت على هذا فاسأل الله التوبة من كل ما يكره فإنه لا يكره إلا كل قبيح والقبيح دعه لأهله فإن لكل شيء أهلاً ، ومن هنا أجمع الإمامية على حرمة كما في الحداثق ، والمستند ، وفي الجواهر أنها من ضروريات المذهب .

وأما فقهاء السنة فحكى الآلوسي تضافر الآثار وكلمات كثير من العلماء على حرمة الغناء لا في مقام دون مقام وعن التتارخانية حرمة في جميع الأديان ، وحكى عن أبي حنيفة حرمة ، ونقل صاحب الذخيرة تحريمه عن جمع من الحنابلة ^(٢) ، وقال شيخ الإسلام

(١) سورة الإسراء ، الآية ٣٦ .

(٢) روح المعاني ج ٢١ ص ٦٧ .

المرغيناني ، الحنفي نهى رسول الله عن الصوتين الأحمقين النائحة والمغنية ولا تقبل شهادة المغنية ^(١) ، وقال الكاساني الحنفي : مجرد الغناء واستماعه معصية والتغنية صفة محظورة لكونها لهواً وشرطها يوجب فساد البيع ، والغناء في الجواني عيب ^(٢) ، وحكى ابن تيمية عن ابن المنذر أنه نقل الاتفاق على حرمة الغناء مطلقاً وإبطال إجارة المغنية ^(٣) ، وقال ابن مفلح الحنبلي حرم جماعة الغناء ، وحكى القاضي عياض الاجماع على كفر مستحله ^(٤) ، وقال ابن قدامة الحنبلي حرمه بعض الحنابلة ، وقال أحمد : إنه يثبت النفاق فلا يعجبني ^(٥) ، واختار الشيخ أحمد الرملي حرمة مطلقاً ^(٦) ، ونقل السهروردي عن الأئمة الأربعة أنهم حرموا الغناء ^(٧) ، وكرهه مالك ^(٨) .

ومن هنا يتجلى للقارئ أن الشريعة المطهرة خرجت على من يدين بها التباعد عن ارتكاب هذه الصفة الممقوتة للمولى سبحانه وتعالى حتى أسقطت منزلة مرتكبها بين الناس ، فلا تقبل شهادته على جليل وحقير ، ولا يؤتم به في الصلاة ، ولا يقدم للاستسقاء ، والواجب على كل مسلم ردع من يرتكب الغناء أو يسمعه (**وَلْيَتَكُنْ**

(١) الهداية في فقه الحنفية ج ٣ ص ٩٠ .

(٢) بدائع الصنائع ج ٥ ص ١٢٩ وص ١٦٩ .

(٣) مختصر الفتاوى الكبرى المصرية ص ٣٨٨ .

(٤) الفروع ج ٣ ، ص ٩٠٣ .

(٥) المغني ج ٩ ، ص ١٧٥ .

(٦) الحديقة الندية للشيخ عبد الغني الطرابلسي ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٧) مناقب ابن أبي حنيفة للبزاز في ذيل مناقبه للخوارزمي ج ١ ، ص ١٧١ .

(٨) المدونة الكبرى لمالك ج ٣ ص ٣٩٧ كتاب الإجارة .

مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١) .

وكما منعت الشريعة من ارتكابه أوقفت من يدين بها عن
الطعن فيمن آمن بالمللة ولم يحرق ناموسها الأكبر ، وفرضت تأديب
من يطغوا على مكانة المسلم ويعبث بقدسيته كما أمرته بالكف
والسكوت عن الطعن في الناس خصوصاً إذا لم يحصل له الوثوق
بمتكهم حجاب الشريعة فقالت : (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
شَيْئًا) (٢) (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ
كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (٣) .

وعلى هذا فالسيدة سكينة بنت الحسين (ع) بعد أن كانت
متدينة بقانون جدها الأعظم (ص) لأنها في عداد المسلمين الخاضعين
لكل ما جاء به نبي الإسلام عن الوحي المبين ، فلا يسوغ لأي مسلم
التفوه في حقها بما يخرجها عن صراط الشريعة ما لم يثبت بطريق
واضح لا تعكر فيه ، فإن من قال في مسلم كلمة هجر فقد حرق
ستر الله (٤) ، وإيذاء المسلم أذى لرسول الله ، ومن آذى رسول الله آذى
الله تعالى (٥) .

وأحاديث الغناء التي سجلها أبو الفرج على هذه الحرة العفيفة
مروية عن آل الزبير الذي عرفت عداوتهم لآل علي (ع) وتهجمهم

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٣٦ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ٣٦ .

(٤) الأدب المفرد للبخاري ص ٦٤ .

(٥) الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ١٥٧ .

على مقدساتهم بكل ما لديهم من حول وطول مع أنه لم يأت أثر
يشهد بتعديها على نواهي أخيها زين العابدين ، فإنها كانت تساكته
في بيته ونظراته الرحيمة تلحظها ليلاً ونهاراً ، وبعده كانت في كنف
الإمام أبي جعفر الباقر وابنه أبي عبد الله الصادق (ع) فهل يتصور
أحد أن الأئمة ينهون الناس عن مزاوله الغناء ، ويقول الصادق (ع)
لمن كان يستمعه وهو في (المرحاض) : ما أسوأ حالك لو أتاك الموت
وأنت على هذا الحال ، ثم يذرون بناتهم ونساءهم مع الهوى . كلا .
إنه طغيان على حرمتهم وتعدّ على مقام الخلافة الإلهية (**وَسَيَعْلَمُ**
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) .





rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الشعراء

لقد جاء صاحب الأغاني بمنقصة تأباهها الغيرة والشهامة حسبها
القاصر فضيلة رابية أتخف بها خفرة من بنات الرسالة وتبعه من جاء
بعده بحجة أن لها المعرفة في الأدب وقوة العارضة في نقد الشعر
وقد غفلوا عن مناقشة الحساب عندما يوقفون في محكمة التحقيق .

فروى أبو الفرج عن المدايني وعن أبي عبد الله الزبيري اجتماع
الشعراء في بيت سكية للضيافة واختصموا عندها في المفاضلة بين
جرير والفرزدق وكثير والأحوص وجميل ونصيب وأنها جلست في
مكان تراههم ولا يرونها ، وأنها أخرجت وصيفة لها روت الأشعار
فكانت الوصيفة تلقي على سكية شعر كل واحد منهم وترجع إليهم
بما تعيبه سيدتها ^(١) .

وأنت إذا قرأت حكم ابن حجر العسقلاني على المدايني بأنه
من موالي عبد الرحمن بن سمرة الذي هو من صنائع معاوية وفي
عداد عماله ^(٢) يسعك الحكم بأنه لا يتخطى سيرة مولاه ولا من
اصطنعه ، ومن هنا شحنت الجوامع بمروياته الشائنة لمقام رجالات أهل

(١) الأغاني ج ١٤ ، ص ١٤٥ إلى ص ١٦٧ .

(٢) لسان الميزان ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ .

هذا البيت الطاهر فنسب إلى عبد الله بن جعفر الطيار كلمة تحط من قدره ودينه ، وان صلبها في قالت الفضيلة فذكر أن العجوز التي ذبحت الشاة للحسنين وكان معهما ابن جعفر ولما شاهدها الحسن بالمدينة أمر لها بألف شاة وألف دينار وأعطاها الحسين مثله وقال لها ابن جعفر : لو بدأت بي لأتعبتهما ^(١) .

فإن كل من يقرأ سيرة ابن جعفر مع إماميه الحسنين وخضوعه لهما يتجلى له افتعال هذا الحديث ومحاورته مع معاوية تؤكد ، وذلك يوم أراد إغراءه بالمدح البالغ حده ليفصله عن متابعة الحسنين (ع) فأوقفه ابن جعفر على ما سمعه من رسول الله (ص) في فضلهما وأنها إماما هذه الأمة بعد أبيهما الوصي وأن الله تعالى أفاض عليهما القدرة بالتصرف في الأشياء كما يريدان ^(٢) .

وإني على يقين في افتعال كل ما ورد في حق عبد الله بن جعفر من أحاديث الكرم ، وما أدري من أين له هذه الأموال الطائلة مع أنه مملق وأبوه أفقر منه فلا إقطاع عنده ولا عيون ولا من التجار الثريين ، وإنما أراد ابن هند في وضع هذه القصص إيجاد شخص من الطالبين يضاهي أبا محمد سيد شباب أهل الجنة الذي وقف النائل عليه وحده ، ومما يشهد لهذه الدعوى سعي معاوية في إثبات الكرم لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ذلك الذي ترك قيادة أربعة آلاف جندي وهمس ليلاً إلى معسكر ابن هند طمعاً في دراهم

(١) لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ ص ١٠٦ ، وثمرات الأوراق على هامش المستطرف ج ٢ ، ص ١٩ ، باب ٤٦ ، والفصول المهمة لابن الصبغ ص ١٦٥ .

(٢) الاحتجاج للطبرسي ص ١٥٤ النصف .

معدودة وترك الدنيا والآخرة المملوكتين لأبي محمد (ع) عطاء من الله غير مجذوذ ، في حين لم يغيب عنه « ذبح طفليه » على يد بسر ابن أرتأة قائد معاوية ؟ فأين هذا والجود الذي هو شيمة الأحرار وغريزة الطاهرين ^(١) .

وأما عبد الله الزبيري فلم يغيب عن القارئ شهادة العلماء بمعاداته لأهل البيت وأنه يضع المنكرات فيهم فرواياته أوهى من بيت العنكبوت ، على أن المبرد ^(٢) وابن قتيبة ^(٣) ذكرا اجتماع الشعراء عند عبد الملك ابن مروان وتذاكرهم بيت نصيب :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي
فأزرى كلهم على نصيب فقال لهم عبد الملك : ما تقولون ؟
فقال أحدهم أقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا ليت شعري من يهيم بها بعدي
فقال عبد الملك : أنت أسوء رأياً من نصيب فقالوا فما كنت تقول أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال أقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي
فقالوا أنت أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين .

ويحدث المرزباني ^(٤) أن الأقيشر دخل على عبد الملك بن مروان فعاب بيت نصيب وهو :

(١) قصص العرب ج ١ ، ص ٢١٠ ، وص ٢١١ .

(٢) تهذيب كامل البرد ج ٢ ، ص ١٥٠ .

(٣) عيون الأخبار ج ٤ ، ص ١٤٦ .

(٤) الموشح ص ١٨٩ .

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا حزني من ذا يهيم بها بعدي

فقال له عبد الملك : ما كنت تقول أنت ؟ فقال أقول :

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم ذكر المرزباني نقد الفرزدق على الأحوص إذ يقول :

يقرّ بعيني ما يقرّ بعينها وأحسن شيء ما به العين قرّت

فقال له إنه يقر بعينها النكاح أقر ذلك بعينك ^(١) ؟ .

ثم إن ابن كثير ذكر اجتماع الشعراء عند عمر بن عبد العزيز وهم : الفرزدق وجريرو وعمرو بن أبي ربيعة والأحوص وتفاضلهم ونقده لهم ^(٢) .

فالمفاضلة بين الشعراء كانت عند عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز ولكن المرواني أبا الفرج زحزحها إلى ناحية السيدة سكينة تحرياً للوقعية بمصونات البيت الهاشمي بيت الشهامة والعفاف بيت الحجاب والغيرة ، وقد ظن أبو الفرج أن هذه المفتعلات مما يخفى مصدرها حتى في العصور المستنيرة بالبحث والتدقيق ، وقد كان المصدر في هذا الحديث المدائني الذي ذكرنا توقف العلماء عن مرويّاته ، ثم هناك شيء يرشدنا إلى كذب هذه المحاكمة عندها هو : أن أبا الفرج لم يذكر لها بيتاً في الأدب والعرفان ولو كانت سكينة بهذه المنزلة المزعومة لها من قوة العارضة والنقد لكثير منها الشعر كما كان لغيرها من رجال ونساء ، ولدونه أبو الفرج كما سجل لغيرها .

(١) المصدر ص ١٨٧ .

(٢) البداية ج ٩ ، ص ٢٦٢ .

بيت الضيافة

على أنا لا نعرف هذا البيت الذي فتحته لضيافة الوافدين عليها متى كان ؟ أفي العهد الذي كانت في ذات أزواج « لو تحققت الأوهام » وهم يرضون لها محادثة الرجال الأجانب وكانوا يدرون عليها المال لتنفقه عليهم ؟ أو أنها كانت تنفق على الأضياف وتجز الشعراء من مالها الخاص بها ؟ الذي لم يرد به تأريخ أصلاً أو أن الإمام السجاد أو الباقر يفيضان عليها المال لتنفقه على الأجانب .

ثم لماذا فتحت هذا المضيف والمرأة لا تمدح بالكرم وإنما تمدح بالصون والعفاف ، ولم يعهد في النساء الهاشميات نظير لها في ذلك حتى من سيدة النساء فاطمة الزهراء وابنتها عقيلة الهاشميين زينب الكبرى والمعصومة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر (ع) وحكيمة بنت الإمام أبي جعفر الجواد (ع) إلى غيرهن من فضليات نساء بني هاشم وكل منهن أجل من سكينه وأقدر على الانفاق والعطاء ولو بنحو من خوارق العادات .

أكانت سكينه متفردة عن حرائر قومها بالرغم مما تقرأه من الانكار البالغ حده من جدها أمير المؤمنين (ع) في أمر المرأة فيقول في وصيته للإمام المجتبي :



إياك ومشاورة النساء فإن رأيهنّ إلى أفن وعزمهنّ إلى وهن
واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن ، فإن شدة الحجاب
أبقى عليهن وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به
عليهن ، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تمكن المرأة ما
جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ^(١) .

فإن التأمل في أطراف كلامه (ع) يوقفنا على الحكم بالإلزام
المرأة بيتها وإسدال الستر عليها لأنه أحفظ في الصون وأمنع من
طروق ما لا يحل بساحتها مما يقبحه العقل والعرف والدين والغيرة .

وزاد (ع) في أمرها أن أمر بكف أبصارهن عن النظر إلى
الغير ، وأن لا تخرج من بيتها ولا يدخل عليها الرجال لما فيه مظنة
الوقوع في الهلكة وارتكاب الفتنة كما وقعت فيها امرأة العزيز ونسوة
مصر اللاتي قطعن أيديهن حين شاهدن جمال الصديق يوسف (ع) .

وأندية أهل البيت تلهج بقول الرسول (ص) لأُم سلمة وزينب
حين دخل ابن أم مكتوم فلم يحتجبن عنه واعتذرن بأنه أعمى :
(أفعمياوان أنما) ^(٢) .

وهذا من المرتكزات في نفوس ذوي الغيرة والشهامة من غير
هذا البيت فكيف بأهله .

يقول إسحاق بن أحمد بن نهيك : شاهدت رجلاً في طريق
مكة وعديله جارية في الحمل وقد عصب عينيها وكشف الغطاء عن
وجهها ولما قيل له في ذلك كان جوابه : (إنما أخاف عليها عينيها لا

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٨ المطبعة الرحمانية في مصر من وصيته الطويلة لولده .

(٢) تفسير الخازن ج ٥ ، ص ٥٧ وتفسير البغوي بهامشه .

عيون الناس (١) .

وإذا كان هذا أمر الشريعة في الحكم على المرأة وبه هتف سيد الأوصياء (ع) وقام بتنفيذه أنباؤه المعصومون فهل يدور في خلد أي أحد أن الأئمة الهداة غضوا النظر عما تأتي به خفرة من نسائهم وهي في كنفهم وبعين رعايتهم ، أو أن ابنة سيد الشهداء (ع) مائلة عن الصراط السوي متنكبة جادة الحق بحيث لم يقدر أولئك المعصومون المقيضون لهداية البشر على كبحها عن هذه الشرور (كلا) .

وإن كلمة سيد شباب أهل الجنة الغالية في حق ابنته : (الغالب على سكينه الاستغراق مع الله) ووصفه لها بخيرة النساء .

ترشدنا إلى قوة الإيمان واعتناقها صحيح الحق والدين .

لكن السياسة قاضية والأقلام مستأجرة والحنق مالك لقلوب الشائنين لأهل البيت فقالوا كما شاء لهم الهوى وأوقعوا غيرهم ممن لم يحص الحقائق في هوة الضلال .

ثم إن قول أمير المؤمنين (ع) « لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها » يحرص الانفاق عليها بما يفي بمناجحتها ويسد خلقتها كيلا تتجاوز الحدود في صرف المال فيما لا يلائم صيانتها وعفافها وكذلك يحرص تمكينها بما تقدر عليه من إدارة شؤونها بدليل تعليقه (إنحار ربحانة) يتمتع بها ويلتذ بالألفة معها (لا قهرمانه) تقوم بتدبير الشؤون وإقامة المصالح والحكم بين المتخاصمين ولقد أكد (ع) ذلك مرة أخرى لما أتاه رجل من أصحابه وشكا إليه نساءه فإنه قال :

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٤ ، ص ٨٧ .

معاشر الناس لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن يديرن أمر العيال فإنهن إن تركن وما أردن وردن المهالك وعدون أمر المالك فإننا وجدناهن لا ورع لهن عند حاجتهن ولا صبر لهن عند شهواتهن التبرج لهن لازم وإن كبرن ، والعجب لهن لاحق وإن عجزن ، لا يشكرن الكثير إذا منعن القليل ، ينسين الخير ويحفظن الشر ، يتهافتن بالبهتان ويتمادين بالطغيان ويتصيدن للشيطان ، فداروهن على كل حال وأحسنوا لهن المقال لعلهن يحسنّ الفعال ^(١) .

وهذه دروس من خليفة الرسول (ص) راقية تأخذ بمن يعطيها حقها إلى النعيم الدائم وزلفى الأبد والسعادة الخالدة ، وأولى الأمة باعتناقها والسير على ضوئها أبنائها الهداة بتطبيقها على من تحويه بيوتهم المنبوعة من أبنائهم وفتياتهم . سأل رسول الله ابنته الصديقة الزهراء (ع) عما هو خير للمرأة ، فقالت : خير للمرأة ألا يراها رجل ولا ترى رجلاً ، فضمها رسول الله إليه ، وقال : « ذرية بعضها من بعض » ^(٢) .

على أنا وجدنا في أخبار النساء العاديات من تغار على نفسها من الاختلاط بالأجانب إما خضوعاً منهن لناموس الدين أو جنوحاً إلى غريزة العفة ، فمن ذلك ان امرأة عربية كانت عند بعض القرشيين فدخل عليها خصي لزوجها وهي واضعة خمارها فحلقت شعر رأسها وقالت : ما كان ليصحبني شعر نظر إليه غير ذي محرم .

ومرت امرأة عربية بقوم من بني نمير فأداموا النظر إليها فقالت : يا بني نمير والله ما أخذتم بواحدة من اثنتين لا بقول الله تعالى إذ

(١) الصدوق (فيمن لا يحضره الفقيه) .

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي ج ٢ ، ص ٢٥٣ فصل ٤٥ في التزويج .

يقول : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ^(١) . ولا بقول جرير ^(٢) .

فغَضَّ الطرف إنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
ودخل خادم على سكيئة بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
فغطت رأسها منه فقبل لها : انه خادم . قالت : هو رجل منع
شهوته ^(٣) ، ومن المقطوع به أن سكيئة هذه ابنة الحسين فإن أهل النسب
وعلماء التاريخ لم يذكروا في أولاد علي بن أبي طالب سكيئة .

ودخل معاوية على زوجته فاخته ومعه خصي وكانت مكشوفة
الرأس فلما رآته غطت رأسها ، فقال لها معاوية : إنه خصي ، فقالت
له : أترى أن المثلة به أحلت له ما حرم الله عليه ، فعلم الحق معها
فلم يجز لخادم الدخول إلى حرمة إن كان كبيراً ^(٤) .

فإذا كان هذا مبلغ من أخذت غريزة العفة منها منتهاهها فابنة
الإمامة وربيعة الدين أجدر باتباع هذه التعاليم المقدسة أو الخضوع
لهاتيك الغريزة فلا تبيح للرجال الدخول إلى دارها ولا تقترب من
مجالسهم وتنسبط إليهم لا يوم يضمها بيت الإمامة ولا يوم يحويها
عفاف الأزواج (لو صدقت المزاعم) .

وكيف تتكذب سكيئة عن سنن جدها الرسول (ص) وتعاليم
خليفته أمير المؤمنين (ع) وهي المتريفة في بيت أخيها الإمام زين
العابدين وابنه الباقر (ع) والمتأدبة بالآداب الإلهية وهي بعين رعايتهم

(١) سورة النور ، الآية ٣٠ .

(٢) ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ٤ ، ص ٨٧ وص ٨٥ .

(٣) أمالي ابن الشيخ الطوسي ص ٢٣٣ .

(٤) مروج الذهب للمسعودي ص ٤٧٢ .

ولكن الرواة أبوا إلا الاسترسال وتشويه تلك السمعة الطيبة بما شاء
لهم الهوى .

وعلى هذا فاعرف حديث اجتماع الشعراء معها فيما رواه
مصعب الزيري العدو لبني هاشم ولا تذهب بك الظنون أيها الحاذق
الفتن .

(وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ
اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) البقرة / ١٢٠ .



شعر عمر بن أبي ربيعة

حدث أبو الفرج عن يونس عن ابن شبة أن إسحاق الموصلي
غنى الرشيد بقوله :

قالت سكينه والدموع ذوارف منها على الخدين والجلباب
فغضب الرشيد حتى سقط القدح من يده ونهره وقال : لعن
الله الفاسق عمر بن أبي ربيعة ولعنك معه ألا تتحفظ وتدري ما
يخرج من رأسك ^(١) .

وهذا البيت مع أبيات رواها الزجاج ^(٢) من دون إشارة إلى
الخلاف الواقع في روايتها ، فإن أبا الفرج مع روايته لها بما عرفت
رواها في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف فقال : كانت سعدى
بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في البيت الحرام فرأت عمر بن
أبي ربيعة يطوف بالبيت فأرسلت إليه إذا فرغت من طوافك فأتنا
فأتاها فقالت : لا أراك يا ابن أبي ربيعة صادراً عن حرم الله أما
تخاف الله ويحك إلى متى هذا السفه ، فقال لها : دعي هذا عنك
أما سمعت ما قلت فيك قالت لا . فأنشدها قوله :

(١) أغاني ج ١٦ ، ص ١٢ .

(٢) أمالي الزجاج ، ص ١٠٣ .

قالت سعيذة والدموع ذوارف منها على الخدّين والجلباب
ليت المغريّ الذي لم أجزه فيما أطال تصعدي وطلاي
كانت ترد لنا المني أيا منّا إذ لا نلام على هوى وتصاب
أسعيد ما ماء الفرات وطيبه مني على ظمأ وحب شراب
بألد منك وإن نأيت وقلمّا يرعى النساء أمانة الغياب

وهذه الأبيات رواها الجاحظ ^(١) في ابنة عبد الملك بن مروان
حين حجت البيت بزيادة أربعة قبلها وسبعة بعدها .

ورجح العلامة الشنقيطي في شرح أمالي الزجّاجي ص ١٠٤
المطبعة المحمودية بمصر سنة ١٣٥٤ الطبعة الثانية رواية الأغاني في
سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف على الرواية في سكينه بنت
الحسين (ع) ، وقال هذا هو الصحيح وإنما غيره المغنون فجعلوا
سكينه مكان سعيذة ، وفي لفظ آخر وسكين مكان سعيذة على
الترخيم كما أن الحصري أنكر رواية الشعر في سكينه بنت الحسين
(ع) وعبارته (كذب من روى هذا الشعر في سكينه (ع)) ^(٢) .

(١) المحاسن والأضداد ص ٢١٢ .

(٢) زهر الآداب ج ١ ص ١٠١ .

سكينة بنت الزبير

ومع الغرض عن ذلك نقول إن لفظ سكينة في رواية الزجاجي ولفظ سكين في رواية أبي علي القالي في الأمالي ^(١) لا إشعار فيه على إرادة سكينة بنت الحسين (ع) بل المقصود في شعر ابن أبي ربيعة (سكينة الزبيرية) فإن صاحب الأغاني يروي عن رجاله أن سكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير كانت تجتمع مع عمر بن أبي ربيعة ومعهما ابنته (أمة المجيد) زوجة محمد بن مصعب بن الزبير وجاريتان يغنيان عندهم يقال لأحدهما البغوم وللأخرى أسماء ^(٢) وتزوج سكينة بنت خالد بن مصعب بكير بن عثمان بن عفان فولدت بنتاً يقال لها أم عثمان تزوجها عبد الله العرجي ^(٣) .

ويحدث ابن كثير : أن مصعب بن الزبير أولد سكينة وأمها فاطمة بنت عبد الله بن السائب ^(٤) .

وإذا كان هذا حال سكينة بنت آل الزبير مع عمر بن أبي ربيعة

(١) ج ٢ ، ص ٣٠٥ طبع دار الكتب العربية .

(٢) الأغاني ج ١ ، ص ٦٧ .

(٣) الأغاني ج ١ ، ص ١٥٣ .

(٤) البداية ج ٨ ، ص ٣٢٢ .

والجواري المغنيات فمن القريب جداً أن يزحزح آل الزبير ، ومن سار على أثرهم من الرواة هذه الشائنة عن ابناتهم ويلصقونها بمن شابهتها في الاسم خصوصاً مع العداء المحتدم بينهم وبين العلويين ، وقد عرفت فيما مر عليك أن روايات الأغاني في هذا الباب مروية عن الزبير بن بكار ومصعب الزبيري والمدائني والهيثم بن عدي الكوفي الكذاب بنص جماعة من علماء الرجال وهكذا صالح بن حسان وأشعب الطامع إلى غيرهم ممن يفتعل الحديث أو مجهول الحال لا يؤبه بمروياته .



حديث الصورين

ويتحدث أبو الفرج عن مجلس (الصورين) معتمداً على رواية مصعب الزبيري الذي عرفت بغضه لأهل بيت النبي (ص) وروايته فيما يحيط من مقامهم فيقول : اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه وتشوقن إليه وتمنينه ، فقالت سكينه : أنا له وبعثت رسولاً إليه فوافاهن على رواحله وتحديث معهن إلى أن طلع الفجر فقام لينصرف وقال لهن : والله إني لاحتاج إلى زيارة قبر النبي (ص) والصلاة في مسجده ولكني لا أخلط بزيارته شيئاً ثم انصرف إلى مكة من مكانه وقال في ذلك :

ألم بزينب إن البين قد أفدا قلّ الثواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصورين جاهدة وما على المرء إلا الحلف مجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصفها لقد وجدت به فوق الذي وجدا^(١)
هذا نص ما ذكره في الأغاني وصفق لها غيره ممن أراد الطعن في مقام البيت العلوي ونسب (سكينه) الموجهة في الحديث إلى الحسين (ع) من دون أية قرينة تشهد بهذه النسبة ، فإن العبارة

(١) الأغاني ج ١ ، ص ٤٥ .

الموجودة خالية عن نسبتها إلى الحسين (ع) فمن أين صح الحكم على هذه المسماة بهذا الاسم أنها من هذا البيت العلوي فلعلها سكينه ابنة خالد بن مصعب بن الزبير الذي يروي أبو الفرج اجتماعها مع عمر بن أبي ربيعة والجواري يغنين لهم ، أو الأخرى وهي سكينه ابنة مصعب التي أمها فاطمة بنت عبد الله بن السائب .

ثم هذا الشعر ورد مطلعته باسم زينب كما ورد مطلعته في ديوان ابن أبي ربيعة باسم أم طلحة عائشة بنت طلحة المخزومي وهي بنت أخت عائشة أم المؤمنين ونص المطلع في الديوان ص ١٤٠ :

يا أم طلحة إن البين قد أفدا قلّ الثواء لئن كان الرحيل غدا
أمسى العراقي لا يدري إذا برزت من ذا تطوف بالأركان أو سجدا
وليس في الأبيات اسم سكينه كما ليس في نص الحديث
نسبتها إلى الحسين (ع) والباحث في الأغاني لم يجد التصريح بسكينه ابنة الحسين في شعر عمر بن أبي ربيعة أصلاً ، وكلما وجد في لفظ (سكين) أو (سكينه) لم يحصل معه الجزم بأنها ابنة الحسين خصوصاً بعد أن عرفنا من نص الأغاني أن التي تجتمع مع ابن أبي ربيعة هي سكينه بنت خالد بن مصعب الزبيري ، ومن هذا الباب ما يرويه أبو علي القالي من قول عمر بن أبي ربيعة ^(١) :

إنّ طيف الخيال حين ألما هاج لي ذكره وأحد همّما
جدد الوصل يا سكين وجودي لمحّب رحيله قد أحّما
فإن لفظ سكين لا يدلنا على أنه ترخيم سكينه ابنة الحسين (ع)
على أن أبا الفرج يروي البيت الثاني ^(٢) :

(٢) الأغاني ج ١ ، ص ١١٧ .

(١) أمالي القالي ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

جددي الوصل يا قريب وجودي لمحـب فراقه قد أـلـما
ومع هذا الإجمال في اللفظ والخلاف في الرواية كيف يمكن
للباحث المتحري للحقائق القطع على أن الشعر وارد في سـكينة ابنة
الحسين لولا العداة لهؤلاء الأطهار وقصد تشويه سمعة بيتهم الرفيع
بما دب ودرج .

ولم يكتف الزبير بن بكار في الطعن على سـكينة حتى أزرى
ببعض العلويين من أبناء أبيها ، فحدث أبو الفرج في الأغاني ج ١ ،
ص ١١٧ عنه أن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين أنشد
قول عمر :

ليس بين الحياة والموت إلا أن يـردوا جمـالهم فتزما
فطرب وارتاح وجرت دموعه وجعل يقول لقد عجلوا البين
أفلا يـوكون قرية ، أفلا يودعون صديقاً ، أفلا يشدون رحلاً .

أنا لا أريد أن أنزه وأبرئ جميع العلويين عمالاً يلتئم مع آداب
الشريعة وأحكامها ولكن أقول : لا يجوز الاعتماد على الزبير بن
بكار وأمثاله ممن طعن فيهم العلماء ورموهم بالكذب ، فلا تدون
روايتهم الواضحة من قيم الرجال ما لم تدعم بقرينة قوية وجعفر بن
محمد بن زيد لم يرد في حقه ما لا يلتئم مع شريعة جده (ص) .

وهنا نرى الأستاذ توفيق الفكيكي قد أخذ الاحتدام على آل
الزبير الناشرين لهذه الأكاذيب وعلى من يدونها من دون روية فتخيل
أن (جعفر) هذا هو الإمام أبو عبد الله الصادق مهذب الأمة بنصائحه
وحكمه وناشر الشريعة فأشكل على الرواية ومن دونها ، ولكن
صريح نصها أنه حفيد (زيد الشهيد) بن الإمام زين العابدين (ع)



وكونه ابن محمد بن زيد على رأي أبي الحسن العمري في المجدي ،
وعلى رأي الداودي في عمدة الطالب هو جعفر بن محمد بن
محمد بن زيد الشهيد بن زين العابدين (ع) .

وعلى ما ذكرناه من أن روايات الأغاني في حق سكيئة أكثرها
من آل الزبير تعرف ما يحدث به أبو الفرج في الأغاني ج ١٤ .
ص ١٥٩ عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب من أن سكيئة كانت
برزة من النساء تجالس الأجلة ، وهذا كحديثه فيه عن مصعب
الزبيري أنها كانت تصفف جمتها حتى عرفت بالجمة السكينية .

وكقوله فيه في التحدث عن شعيب بن أشعب الطامع وكان
كأبيه في المجنون والاستهتار فأصبحه الرشيد مع عمه إبراهيم بن
المهدي المعني بقول أبي فراس :

منكم عليّة أم منهم وكان لكم شيخ المغنين إبراهيم أم لهم
فطلب منه إبراهيم أن يحدثه عن طمع أبيه ليسترّج به في
قطع الليل ، ثم سأله إبراهيم عن أقربائه بالمدينة فقال شعيب بن
أشعب : إنهم يعدون بالألوف وأكثر ، قال له إبراهيم : ويلك ما بينك
وبين أشعب أحد فمن أين هؤلاء فاختلق شعيب حديثاً لإثباته وتهجم
به على ابنة سيد شباب أهل الجنة ، فأثبتت زواج زيد بن عمر بن
عثمان بن عفان منها كما افترى عليها بإسراف المال الممقوت حتى
عند العرف ، وأنت بعد أن تتذكر ما مر عليك من كون أشعب من
موالي آل الزبير من قبل أبيه وقد تربى في بيت عائشة بنت عثمان
ابن عفان يتجلى لك قيمة هذا الحديث المتفكه به ابنه شعيب مضافاً
إلى أنه حديث ليل ومسامرة مع الأمراء .



حديث الأزواج

لم يبرح أبو الفرج يجمع أضغاثاً من القول المزري بكرمة بيت العصمة ويأتي من هنا وهناك شائنة هي أولى بيته يحسب أن الشهوة بلغت منها كل مبلغ حتى فقدت من أجلها القواعد العرفية والشرعية والعادات ، فروى عن الزبير بن بكار أن لها ستة أزواج وكان فيهم من لا كفاءة فيه لهذه الحرة ثم تحدث عن مصعب الزبيري^(١) أن الأصبع بن عبد العزيز لما تزوج منها قال بعضهم :

نكحت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فأنت الرابع
إن البقيع إذا تتابع زرعته خاب البقيع وخاب فيه الزارع
هذا ما في علبة الرجل والذي تحدث عنهم من آل الزبير وأنت
على يقين من أن ربائب الخدور وبنات البيوت الغيورات على أنفسهن
واعتبارهن لا يتنازلن إلى قبول الأزواج بعد أزواجهن الأولين ويرين
في ذلك مساً بكرامتهن ، إذا كان من قضى عنهن أكفاء كراماً فلا
يغنين بهم بدلاً خصوصاً إذا لم يكن الخطاب أكفاءً لهن ، وكثيراً ما
نرى البنات يموت أزواجهن فييقنين بلا زوج حتى الموت وهن في

(١) نسب قريش لمصعب ص ٥٩ .

مقتبل شاب من فهد زوجة هدبة بن حشرم لما قدم زوجها ليقاد منه أخذت مدية وجدعت أنفها حتى لا يكون للرجال طمع فيها ^(١) .

ومن أجل ذلك امتنعت (الرباب) من التزويج بعد سيدها الحسين المظلوم (ع) قالت : لا أتخذ حملاً بعد رسول الله (ص) ^(٢) إذا فابنتها سكية سيدة الكرائم أولى بهذه الأحوال من بنات البيوت جمعاء ، لكن (الزيري) حدثه أحقاده على أمير المؤمنين علي (ع) إلى أن ذكر لها من الأزواج من لا كفائة فيه ، ومنهم من هو شائن للبيت العلوي أو شامت به قد دبت فيه جذور الأحقاد أترى أن ابنة سيد الأباة تتطامن لتلك الضعة نزولاً منها على حكم الشهوة .

على أن علماء النسب والتاريخ يشهدون بأن زوجها الأول عبد الله الأكبر ابن الإمام الحسن المجتبي سيد شباب أهل الجنة وهو أخو القاسم أمهما « رملة » استشهد يوم الطف قبل القاسم ، ومن هؤلاء الأعلام النسابة أبو الحسن العمري في القرن السادس في كتابه « المجدي » ، وأبو علي الطبرسي صاحب مجمع البيان في « أعلام الوري » ص ١٢٧ عند ذكر أولاد الحسن ، والشيخ محمد الصبان في أسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار للشبلنجي ص ٢٠٢ ، وقال أبو الفرج في الأغاني ج ١٤ ص ١٦٣ أول أزواجه عبد الله ابن الحسن ابن علي بن أبي طالب قتل عنها ولم تلد منه ، وفي أعلام الوري قتل قبل البناء بها ، وقال ابن حبيب في « المحبر » ص ٤٣٨ ، والمدائني في « المترادفات » ص ٦٤ المجموعة الأولى من نوادر المخطوطات كان

(١) رسالة المغتالين ص ٢٦٢ لابن حبيب في المجموعة الأولى من نوادر المخطوطات .

(٢) كامل ابن الأثير ج ٤ ، ص ٣٦ وتذكرة الخواص ص ١٥٠ .

عبد الله بن الحسن أبا عذرهما فمات عنها ومقتضاه البناء بها لإرادة هذا المعنى من المثل ، قال الزبيدي في تاج العروس ج ٤ ، ص ٣٨٧ مادة عذر يقال أبو عذرهما وأبو عذرتهما إذا افتزعها وافتضاها .

إن السيدة الكريمة لم تستبد في الرأي في أمورهما دون وليها « زين العابدين » ومن المقطوع به أنه لا يرى لأي زيري أو أموي كفاءة لمصاهرتة كيف ونصب عينه أحقاد القوم وتحزباتهم عليه ، وعلى الدين من يوم جده أمير المؤمنين وإلى أبيه الحسين وسيوفهم تنطف من دمائهم الزاكية والشماتة بادية على جباههم ويقذفونها في فلتات ألسنتهم فهل والحالة هذه يتطامن إلى مصاهرة هؤلاء وكل أحد يجد في قرارة نفسه التباعد عن مصاهرة من يحرش عليه ويطعن بمقدساته وإن بلغ من الشرف أقصاه بل حتى لو كان شقيقه من أبيه وأمه .

وهذا الحجاج الثقفي يعذل خالد بن يزيد بن معاوية لما خطب رملة بنت الزبير أخت مصعب وقال له : كيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بكفاء ، وكذلك قال جدك معاوية وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيحة وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة فأعرض خالد عن مصاهرة آل الزبير ^(١) .

ولما تزوج عبيد الله بن زياد بنت أسماء بن خارجة قبل ولايته الكوفة لأمه عمرو بن حريث وقال : تزوجه ولا سلطان له عليك ^(٢) .

فالإمام زين العابدين أجدر بالتباعد عن مصاهرة من جرع آباءه الغصص ونصبوا لهم الغوائل ، على أن أبا الفرج يحدث أن مصعب

(١) الأغاني ج ١٦ ، ص ٨٥ .

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ، ص ٨٣ .

ابن الزبير تزوج منها وهو عامل أخيه بالبصرة ^(١) ولم يكن مسيطراً على الحجاز ليخاف السجاد (ع) سطوته ولم تكن الظروف تساعد الزبيرين على أخذها اغتصاباً لأن العواطف كانت وقتئذ ثائرة على كل من يمس أهل البيت بسوء حتى أن عبد الله بن الزبير نفسه نصب الهتاف بظلامة السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين (ع) شركاً يصطاد به البسطاء ، ولما حسب أنه بلغ من الملك أمنيته ترك ذلك وتجراً على قدس المنقذ الأكبر رسول الله (ص) فترك الصلاة عليه عند ذكره أربعين جمعة ولما عوتب قال : إن له أهل بيت سوء إذا ذكرته أشربت نفوسهم اليه وفرحوا بذلك فلا أحب أن أقر عيونهم ^(٢) .

وقبله معاوية بن أبي سفيان فقد تجرأ على قدس الرسول (ص) لما سمع المؤذن يشهد بالرسالة فقال لله أبوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالي الهمة ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك مع اسم الرب تعالى ^(٣) وهذا الكلام منه يدلنا على تشكيكه بالرسالة مع أن الرسول في الأحكام الشرعية وغيرها (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ**) ^(٤) . والأذان من الأحكام المنزلة من إله العالمين ومصعب بن الزبير قتل بالعراق سنة ٧١ هـ قبل شهادة زين العابدين بأربع وعشرين سنة ، وسكينة مدة حياة أخيها تسكن في بيته لا تفر عن البكاء على أبيها المظلوم الممنوع من الورد كلما تشاهد

(١) الأغاني ج ١٤ ، ص ١٦٣ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ١٦٥ طبع إيران .

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ، ص ٥٣٧ مصر .

(٤) سورة النجم ، الآيات ٣ و ٤ و ٥ .

أخاها الحجة زين العباد حزين القلب باكي العين على أبيه سيد شباب أهله الجنة والبهايل من أهله وصحبه .

ومما يشهد لذلك أن يزيد بن معاوية مع طغيانه وتحتكه وعدم إيمانه برسالة الإسلام والنبي المبعوث بها ، كما أفصح عنه شعره الدائر بين الناس ولأجله استوجب مؤاخضة العلماء عليه وحكمهم بكفره وزندقته واستحقاق اللعن ^(١) حتى قال العلامة الألوسي : إن مجموع ما فعله مع أهل حرم الله وحرم نبيه (ص) وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قدر ، والظاهر أنه لم يتب واحتمال توبته أضعف من إيمانه فأنا أذهب إلى جواز لعنه على التعيين ، ومن لم يرض بلعنه على التعيين فهو الضلال البعيد الذي يكاد يزيد على ضلال يزيد ^(٢) .

ومع هذه الأفعال المنكرة وعدم مبالاته بقانون الشريعة المانع منها أوصى مسلم بن عقبة لما سيره لمحاربة أهل المدينة باحترام (زين العابدين) وتعزيز مقامه لأن الإساءة إلى أهل هذا البيت توجب الدمار وتورد النكبات فأباح القائد المسرف حرم الرسول (ص) لجيشه التمرد ثلاثة أيام ^(٣) فافتضت العذارى وولدت عشرة آلاف امرأة من غير زوج ^(٤) وانتهبوا بيوت المسلمين وأريقوا الدماء عند قبر النبي (ص)

(١) ذكرنا في مقتل الحسين ص ٨ الطبعة الثانية حكم علماء أهل السنة في لعن يزيد لتعديده على حرمة الله .

(٢) تفسير روح المعاني ج ٢٦ ، ص ٧٣ ، آية فهل عسيتم ان توليتم .

(٣) تاريخ الطبري ج ٧ ، ص ٦ .

(٤) تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٦٣ .

ولكنه أوصى جيشه بيت (علي بن الحسين) فكان أمناً لمن دخله من أهله المدينة ، حتى أن مروان بن الحكم الذي أثار فتنة الجمل وحرّض (المرأة) على منع ادخال جنازة الحسن السبط في قبر جده النبي (ص) لتجديد العهد به فنهضت واصحرت عن بغضها بقولها لا تدخلوا بيتي من لا أحب ^(١) وكان مروان يهتز فرحاً بقتل الحسين لما شاهد الرأس المقدس أمام « ابن ميسون » وهو ينكته بقضيب خيزران فقال متشمتاً :

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين
شفيت نفسي من دم الحسين أخذت ثاري وقضيت ديني ^(٢)
فلم يمسكه الحياء من هذه المنكرات التي هي نصب عين
السجاد عليّ بن الحسين وأندية أهل البيت تلهج بها ، فجاء بعياله
إلى بيت الإمام زين العابدين يوم واقعة الحرة فرقاً من بطش الجيش
التمرد فرأى من ابن (النبوة والإمامة) جاهاً عريضاً وخلقاً واسعاً
وحلماً راجحاً كما يقتضيه عنصره الطيب الطاهر وهذا بعد أن
استجار بعبد الله بن عمر بن الخطاب فزيره وطرده عن بابه ، وقال :
لا تحرقني بنارك ^(٣) وإني لا ستطرف أيبات سعد بن محمد الصيفي
المعروف بحيص بيص لعلاقتها بالموضوع وارتباطها به :

ملكنّا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما غدونا عن الأسرى نعف ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ، ص ١٧٥ .

(٢) انظر ما كتبه في مقتل الحسين ص ٤٢٦ طبعة الثانية .

(٣) تاريخ الطبري ج ٧ ، ص ٧ .

والقصة في هذا أن نصر بن مجلى من أهل السنة رأى علي بن أبي طالب في المنام فقال له : إنكم لما فتحتم مكة قلتم : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ماتم ، فقال له : أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا ، قال : لا ، فقال : اسمعها منه ولما استيقظ بادر إلى الحيص بيص فسأله عن الأبيات وحكى له الرؤيا فأجهش بالبكاء وحلف بالله انه نظمها في ليلته وما سمعها منه أحد ^(١) .

ومن يقرأ قصة زواج مصعب من سكينه في عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ، ص ٢٥٨ يتجلى له أنها من الخيالات ، وهو وإن أثبتها مرسلة إلا أنها لا تعد ، والزبير بن بكار وابن أخيه مصعب وثالثهم عروة بن الزبير لأن أبا الفرج في الأغاني أسندها إليهم .

وأغرب منه ما يرويّه أبو منصور البغدادي عن المدائني عن مجالد عن الشعبي أن سكينه نشزت على زوجها عبد الله بن عثمان بن حزام فشكتها أمه رملة بنت الزبير بن العوام إلى عبد الملك ^(٢) .

وليتنه نظر قبل أن يسجل هذه الفرية في نص ابن معين ويحيى ابن سعيد وغيرهم من علماء الرجال عما ذكروه في حق (مجالد) فيعرف توقفهم عن رواية أحاديثه وإعراضهم عن جميع مروياته ثم

(١) الأبيات مع القصة في شذرات الذهب لابن العماد لابن العماد الحنبلي ج ٤ ، ص ٢٤٧ ، حوادث سنة ٥٧٤ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ١١ ، ص ٢٠٦ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان بترجمته ، وفي البداية لابن كثير ج ١٢ ، ص ٣٠١ توفي ببغداد / ٥ شعبان سنة ٥٧٤ ودفن بباب التين وليس له عقب .

(٢) بلاغات النساء ص ١٤٦ طبع النجف .

يعطف النظرة إلى الشعبي ويدرس أحواله فعندها لا يبقى له ريب في سقوطه عن قبول الرواية .

يتحدث المؤرخون أن الشعبي من صنایع الأمويين يرتع في دنياهم ويسير على رغباتهم ، تولى المظالم بالكوفة من قبل بشر بن مروان أيام ولايته من قبل عبد الملك ^(١) وتولى القضاء بالكوفة من قبل عمر بن عبد العزيز ^(٢) فهو مرواني النزعة لا يتخرج من كذبة ولا يتبرم من خطل ولا يعرف حرمة الشريعة المطهرة ، فكان يسمع غناء ابن عائشة فيقول متعجباً منه : يؤتي الله الحكمة من يشاء ^(٣) وكان ابن سريج يغني له فليل له : من هذا ؟ قال : هذا الذي أوتي الحكم صبيّاً ^(٤) ولم ينكر أبو منصور البغدادي سماعه الغناء ^(٥) المحرم في الكتاب والسنة وإجماع الشيعة والسنة ولم يخف هذا الحكم على الشعبي ولكن (**مَنْ يُضْلِلِ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ**) ^(٦) (**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**) ^(٧)

ولذلك تراه معرضاً عن الولاء لأمير المؤمنين وأبنائه المعصومين . يحدث ابن مطرف الكناني بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد أنه سمع الشعبي يحلف بالله ويقول : دخل علي بن أبي طالب حفرتة

(١) الأغاني ج ٢ ، ص ١٢٠ طبعة ساسي .

(٢) تاريخ الطبري ج ٨ ، ص ١٣١ .

(٣) الأغاني ج ١ ، ص ١٢١ ، ج ٢ ، ص ٧١ .

(٤) نيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ، ص ٨٣ .

(٥) نيل الأوطار ج ٨ ، ص ٨٢ .

(٦) سورة الأعراف ، الآية ١٨٦ .

(٧) سورة العنكبوت ، الآية ١٣ .

ولم يحفظ القرآن ^(١) وتقزز ابن فارس من هذه الجرأة على باب مدينة علم الرسول فقال : هذا كلام شنيع جداً فيمن يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني فما من آية إلا أعلم بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل ^(٢) .

هذا حال الشعبي مع أمير المؤمنين الذي لم يختلف اثنان في معرفته بنزول القرآن وتأويله وفيمن نزلت ، كما أن الأحاديث كثيرة في جمعه القرآن بعد وفاة النبي (ص) فكيف حاله مع غيره من أهل البيت رجالاً ونساءً فحق له إذا تحدث بما شاء له الهوى .

(١) القرطبي ج ١ ، ص ١٥٨ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ص ١٧٠ .



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

حديث البيتين

وهناك سقطة أخرى باء بإثمها صاحب الأغاني حيث لم تقنعه هاتيك السفاسف في خدش عواطف الخفرة فطفق يمس بكرامة أبيها الإمام المعصوم (ع) بما ينافي العصمة أو يصادم العظمة والحفاظ ، فذكر في الرواية عن رجال مجاهيل لم يعرفهم علماء الرجال والتراجم أن سكينه قالت : عتب عمي الحسن على أبي في أمي الرباب ، فقال الحسين راداً عليه ^(١) :

لعمرك إنني لأحب داراً تحلّ بها سكينه والرباب
أحبهما وأبذل جل مالي وليس لعاتب عندي عتاب
وزاد ابن جرير الطبري في المنتخب من الذيل ضغناً على إبالة
فذيّلها بثالث :

ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً حيائي أو يعييني التراب
كل هذا جهل بمقام الإمامة وإغضاء عن ناحية العصمة وخفوق
عن جهة الشهامة والحفاظ ، فإن الإمام عندنا المنسوب من قبل الله
تعالى المعصوم عن كل خطئ ، حتى من ترك الأولى لا يصدر منه ما

(١) الأغاني ج ١٤ ، ص ١٥٧ ، ونسب قريش لمصعب الزبير ص ٥٩ .

يوجب العتاب حتى من معصوم مثله والسبب المحتجب (ع) لا يعاتب أحداً على مجرد حب حليته المرغوب فيه ، إلا أن يكون خارجاً عن الحدود الشرعية ولا يعقل مثله في الحسين (ع) .

وعلى فرض وقوع العتاب المزعوم « فشهد الدين » أبر وأتقى من أن يجابه حجة الوقت والإمام على الأمة أجمع بنظم البيتين .

ومما لا يلتئم مع حفاظه المر ووقاره المزري بشم الرواسي وعظمته المشتقة من النبوة مدح حليته وابنته بشعر يعلم بطبع الحال أنه ستسير به الركبان ، ثم يث ذلك بين الناس فتلوكة الأشداق حتى يغني به المغنون في منتديات البطر ومجتمعات الفجور .

لكن لم يكن بدعاً من مزاعمهم بعد أن طعنوا في (آبي الضيم) الحامل لأعباء الإمامة بما هو أعظم وأنكى ، فذكر ابن حجر العسقلاني أن الحسن (ع) لما عزم على الصلح شاور عبد الله بن جعفر الطيار فيه فلم ير منه خلافاً عليه ، وقال للحسين : يا أخي إني رأيت رأياً وأحب أن تتابعني عليه ثم قصه عليه ، فقال الحسين (ع) : أعيذك بالله أن تكذب علياً في قبره وتصدق معاوية .

فقال الحسن (ع) :

والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتني إلى غيره ، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضي أمري ^(١) .

هكذا يتحدث ابن حجر ويغتر به الساذج من المتأخرين فيعد هذه المخالفة من الحسين من بواعث الشهامة والإباء ، وقد ذهب على المسكين أن الحسين المعصوم لا يجابه إمام الوقت بتلك الشدة المزرية

(١) تهذيب ج ٢ ، ص ٢٩٩ بترجمة الحسن (ع) .

وهو يعلم أن ما يفعله على وفق المصلحة الواقعية التي ارتضاها رب العالمين ونصت به الصحيفة المخصوصة به .

أليس هو القائل لجابر الأنصاري لما قال له :

ألا تصالح كما صالح أخوك الحسن ؟

فقال الحسين :

إن أخي فعل بأمر من الله ورسوله وأنا أفعل بأمر من الله ورسوله .

ألم يكن الأصلح للحسين مداراة أخيه المحتج والتسليم له . لو صدقت المزاعم والأوهام . ويكون كعبد الله بن جعفر لما أبدى له الإمام نظرية الصلح فخضع لرأيه وسلم له ، أمن الجائر أن يكون عبد الله أعرف بحكم الوقت من السبط الشهيد ؟

ويحدث ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ، ص ١٤٣ طبع إيران أن الحسين ما تكلم بحضرة الحسن إعظاماً له ، ولا تكلم محمد بن الحنفية بحضرة الحسين إعظاماً له ، وفي مشكاة الأنوار للطبرسي ص ١٥٤ كان أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) يقول : ما مشى الحسين بين يدي الحسن قط ولا بدره بمنطق قط إذا اجتمعا تعظيماً وإجلالاً له .

فهل يجوز العقل مع هذه الآداب الإلهية أن يخالف سيد الشهداء أخاه حجة الوقت ويخطئ رأيه ، مع علمه بأنه لا يفعل إلا وفق المصلحة الربوبية .





rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

نظرة إجمالية

علمنا من شتى النواحي مستنبطين من مدونات التاريخ وجوامع الحديث ومما عرفناه من مواقف أئمة الهدى من الإصلاح والتهذيب وخضوع من دونهم من ذوي قراباتهم ، إلا أفراداً أخرجهم النص الصريح أن السيدة سكينة لم تكن متروكة سدى ترتكب الشنع وتقتحم المخاريق ، وإنما كانت برصد من أخيها زين العابدين وابنه الباقر والصادق وبعين رعايتهم لها وهب أن الخلافة الصورية والسلطة العامة كانت مبتزة منهم ، لكن لم تبتز منهم القدرة على نسائهم وعائلتهم ، كيف وكل من سوقة الناس يقدر على من تحت حيطته من أهل بيته فيكبحهم عما يحط بكرامته أو لا يراه من صالحهم لجهات أخرى .

فهل من المعقول أن الإمام زين العابدين (ع) يدع أخته الكريمة عليه في حيث تنيخ فيه الضعة والصغار ، وهو القائل لأبي خالد الكابلي حين دخل عليه ورأى الباب مفتوحاً فتعجب من ذلك :
لا تعجب إن الخادمة خرجت من الدار ولا علم لها بفتح الباب ولا يجوز لبنات رسول الله أن يخرجن فيصفقن الباب ^(١) .

(١) مدينة المعاجز ص ٣١٨ ، حديث ٨٦ .

أمن المعقول أنه لا يجوز لمن رد الباب وليس فيه إلا الخروج إلى مظنة رؤية الأجنبي لمن وراء الأزر والأخمرة ، ويكون من الجائر لمن التبرج إلى الأجانب والمحادثات معهم والخوض في مجاملاتهم خصوصاً ما تمنع منه الشريعة وهو سماع الغناء وعقد المجالس للمغنين .

ثم ما بال الإمام الباقر (ع) يذر عمته السيدة بين تكم المخازي ، وما بال الأبوة الهاشميون يغضون الطرف عما هنالك من بواعث العيب والنقص ، فإلى من يدخرون الإصلاح وهم يتركون عقائل بيتهم ، وإلى أي زمن يرجئونه إن أخروه عن أيام حياتهم في خفرائهم ؟

وهذه جيلة فطر الله عليها الأمم جمعاء فضلاً عما فيضهم المولى سبحانه لهداية البشر وإرشادهم إلى ما هو الأصلح ، وقد كان في الأمة العربية من لا يرضخ لمنافيات الغيرة والشهامة وإن بلغوا في القساوة كل مبلغ حتى كان من أمرهم أن وأدوا البنات كيلا يلحقهم بسببهن العار ، وكانوا لا يزوجون المرأة من الرجل إذا شب بها ^(١) .

ولما شب عبد الله بن مصعب المعروف بعائذ الكلب بامرأة من بني نصر بن دهمان وكان اسمها « جمل » عمد إليها إخوانها فقتلوها غيرة منهم ^(٢) .

ولما بلغ الحجاج الثقفي أن محمد بن عبد الله النميري شب بأخته زينب أسمعه السباب المقذع ولم يتركه حتى كتب إلى عبد الملك بن مروان بذلك ^(٣) ، ولما شب وضاح بامرأة الوليد قتله ^(٤) .

(١) شرح أمالي القاضي للبكري ج ٢ ، ص ٦٥٩ .

(٢) المصدر .

(٣) شرح أمالي القاضي ج ٢ ، ص ٦٥٨ .

(٤) آداب اللغة العربية للرحي زيدان ج ١ ، ص ٢٨٣ .

وشبب الهذلي بابنة جندل بن معبد من بني الحساس فساء ذلك أباه فعدا عليه وقتله ثم أحرقه ^(١) .

وكان ابن رهيمة يشبب بزینب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحرث ابن هشام فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك فأمر بضربه خمسمائة سوط وأباح دمه إن وجد يفعل مثل ذلك .

وغضب يزيد بن معاوية على عبد الرحمن بن حسان لما شبب بأخته رملة بنت معاوية واستعدى عليه أباه معاوية بن أبي سفيان ^(٢) .

واشترى ابن معبد « سحيم » الشاعر فلما شبب سحيم بابنته عميرة وشهرها عدا ابن معبد عليه فأحرقه بالنار ^(٣) .

وفي هذه الشواهد مقنع للتعريف بما جبلت عليه نفوس العرب من الغيرة والشهامة ، فكيف بالهاشميين منهم الذين لم يرضخوا للدنايا وترفعوا عن كل ما يمس كرامتهم فتراهم ينكرون على من يتناول أعراض غيرهم فضلاً عن أعراضهم .

فهذا الحسن بن زيد بن الحسن المثنى بن الإمام السبط الحسن ابن أمير المؤمنين (ع) بلغه يوم كان والياً على المدينة ان ابن المولى الشاعر يشبب بحرم المسلمين ، فأغلظ القول له وتهدده ولم يتركه حتى حلف بالأيمان المغلظة أنه لم يقصد امرأة بعينها وإنما عني في شعره قوسه وسماها « ليلي » .

(١) شرح أمالي القالي ج ٢ ، ص ٧٢١ .

(٢) شرح أمالي القالي للبكري ج ٢ ، ص ٧٢١ .

(٣) شرح أمالي القالي للبكري ج ٢ ، ص ٧٢١ .

ولقد أنكر الرشيد على إسحاق الموصلي لما غناه بشعر عمر بن أبي ربيعة وفيه لفظ سكينه ولم يتعين أنها ابنة الحسين ولأجل المشابهة في الاسم قال له :

لعن الله الفاسق ولعنك معه ويحك أتغنيني بأحاديث الفاسق في سكينه ، ألا تحفظ في غنائك وتدري ما يخرج من رأسك ؟

فهل والحالة هذه ترى الهاشميين الذين هم في المدينة يغضون الطرف عما تفعله خفرة من نسائهم من المخاريق والشنع ، وإذا لم يسعهم ذلك معها فهلا يسعهم أن يوصدوا الأبواب دون من يريد الاجتماع معها من شعراء ومغنين مع أنه لم يكن لهؤلاء أنصار يخاف منهم سوء العاقبة ؟

ثم هل يعذر إمام قيضه الله تعالى لتأديب البشر عامة وتحت سيطرته من لم يتأدب بآداب الشريعة الذي قيض لأحيائها وهو ومن جرى مجراه من أئمة الهدى يوصون شيعتهم بمنع المرأة عن الابتذال ومزاولة الرجال فيقولون : المرأة عي وعورة فداووا عيهن بالسكوت وعورائهن بالبيوت ^(١) وأنها إذا خرجت من بيتها لعنها كل ملك في السماء حتى ترجع إلى بيتها ، وإن تعطرت وخرجت حتى يوجد ريحها فهي زانية ، وأنها تلعن حتى ترجع إلى بيتها وليس لها أن تجلس مع الرجال في الخلاء ولا أن تتعلم الكتابة ولا سورة يوسف لما فيها من الفتن ، وعليها أن تتعلم سورة النور لما فيها من التهديد والزجر ، ولا تنزل الغرف فيراها الأجانب ، وليس عليها أذان ولا

(١) الوسائل للحر العاملي ج ٣ ، ص ٣٠ ، باب ١٣٠ عن أبي عبد الله عن النبي (ص) .

إقامة كيلا يسمع صوتها الرجال ولا جمعة وجماعة ، ولا عيادة مريض ولا تشييع جنازة ولا الإجهار بالتلبية ، ولا الهرولة بين الصفا والمروة ولا استلام الحجر ، ولا تولي القضاء ، ولا الإمارة ، ولا المشاورة في الأمور ^(١) .

وفي وصية أمير المؤمنين (ع) للحسن :

وإن استعظت أن لا يعرفن غيرك فافعل .

أصبح على هذا الحال نسبة المسامحة إلى إمام الأمة (ع) بإسْدال الستر على السيدة وكبحها عن محادثة الرجال أم ينسب إليه المروق عن طاعته وعدم قدرته على التوصل إلى ذلك بكل صورة .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولوا إلا زوراً .

ويا فض فم القائل إن لهج بشيء من ذلك .

والذي يهون الخطب أن أحاديث أبي الفرج لا قيمة لها في حق السيدة الزكية بعد أن كان مصدرها الزبير بن بكار وابن أخيه مصعب والهيثم بن عدي وأضربهم ممن هو شائن لهذا البيت الطاهر ، أو مستأجر لسياسة الوقت ، وأن تاريخ حياة السيدة سكتة مما نطق به أقوام أخذهم الخنق على حمله الوحي وسادات الأمة كما لو ثوا ساحة غيرها من رجالات هذا البيت الرفيع وخفراته بعد أن أعوزتهم الوسائل إلى الطعن في قدس الأئمة الطاهرين فطفقوا يحطون من كرامة أبنائهم وذوي قراباتهم من أمثال هذه النواحي وهم لا يعلمون

(١) الوسائل للحر العاملي ج ٣ ، ص ٢٧ باب ١١٧ جملة مما يحرم على النساء وما يكره .

أن المستقبل الكشف سيوقف أرباب البحث على نواياهم السيئة
ودحر ما افتعلوه ، فإن للحق أنصاراً ولا بد للباغي من مصرع .

وقد عرفت فيما تقدم أن سكينه التي تجتمع مع عمر بن أبي
ربيعه في محفل الغناء هي ابنة خالد بن مصعب بن الزبير ومنه
تعرف كيف زحزح آل الزبير هذه الشناعة عن ابنتهم وألصقوها بمن
شابهتها في الاسم ، فراجت هذه الأكذوبة حتى على من زعم أنه
محس الحقائق ، وأخذت به الثقافة إلى حد بعيد وفي الحقيقة لا
يعرف من أين تؤكل الكتف .

ولعل هذا البيان الضافي لم يدع القارئ مندوحة عن الإذعان
بأن المصونة الطاهرة هي تلك البريئة من كل شين وعار ، والرضية
المخفورة تحت خباء النبوة وبين سرادق الإمامة يكتنفا الشرف ويحفّ
بها الصون من جميع نواحيها ولم تبرح ترفل في مطارف من
الخصافة قشبية ، ولها أشواطها البعيدة في مستوى الآداب الأحمدية
تزينها العفة والحياء وتحللها الرزانة والوقار ويزدان بذكرها المدح والثناء
وإن كان لأرباب الأهواء والمطامع حول حياتها جلبه وتركاض فدعهم
يخوضوا ويلعبوا ويلهمهم الأمل الخائب والأمنية والمخفقة والظن المكدي .

وإن كلمة الحسين في حقها :

« أما سكينه فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى » .

نتشوف منها منزلة كبرى في اليقين والتجرد عن هذه العوارض
الدنيوية الفانية .

إن هذه الجلبة بسرد هاتيك القصص الخرافية كما غرت أبا
الفرج اغتر بها من جاء بعده من المؤرخين ، فنشروا فضائح في حق



السيدة البريئة سودوا بها صفحة التاريخ حسباناً منهم أن صاحب
الأغاني ومن تقدمه لا يرسل ما لا تعويل عليه ، وعرفت بما أوضحناه
أن هؤلاء كحاطب ليل لم يريدوا إلا جمع أضغاث من هنا وهنا
فألبسوها أظماراً من الظنون والأهوام .





rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الرباب

التاريخ دراسات لما يعبر في الزمن من خير وشر ودليل لمعرفة سير البشر في المعارف والصناعات والسياسيات والعادات والمؤهلات للراقي الانحطاط ومرآة صافية يتشوف منها الأعمال الصالحة والتعاليم النافعة وسير الأبطال إلى أهدافهم المرموقة وما يؤثر عن العظماء من مزايا وآثار تكون قدوة في اقتصاص أثرهم والسير على هداهم ، ومن المؤسف جداً إهمال المؤرخين ورواة الحوادث واجبههم فنشروا فضائح وستروا فضائل طاعة للأمراء الذين استعبدوهم بالمال أو خضوعاً للنزعات والأحقاد فجنوا على الحقائق الراهنة وأضاعوا الأمانة المودعة عندهم ، فزويت معارف الرجال وأعمالهم الصالحة واختلط الصحيح بالسقيم وديف السم بالعسل ، وأن كلمة (مقاتل) للمنصور الدوانيقي (أحب أن أضع لك في فضل العباس)^(١) تفيدنا فقهاً بتأثير الأطماع في النفوس وسحق العقائد ، وإن أوجب غضب الرب سبحانه وتعالى خصوصاً إذا كان الوضع على لسان صاحب الشريعة ، وقد نبه على وخامة عاقبته فقال (ص) : ستكثر القالة من بعدي فمن كذب عليّ

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ، ص ١٦٧ .



فليتبعوا مقعده من النار ^(١) . قال السبكي : المؤرخون على حرف هار لتسليطهم على أعراض الناس ونقلهم مجرد ما يبلغهم من صادق أو كاذب ^(٢) ، وربما وضعوا من أناس ورفعوا آخرين ، إما لتعصب أو جهل أو اعتماداً على نقل من لا يوثق به ، والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل وقيل ما أرى مؤرخاً خالياً عن التعصب ^(٣) ولقد كان عيسى بن داب يضع للعباسيين وعوانة بن الحكم يضع لبني أمية ^(٤) ومعاوية يستعبد سمرة بن جندب وأبا هريرة وأنس وزيد بن أرقم وعروة بن الزبير ^(٥) لأهدافه وغاياته ، فأكثروا من فضائل السلف والطعن في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وولده ، وشوهوا أحكام الشريعة وتحروّوا على قدس الرسالة فنسبوا إليه السهو مرة ^(٦) والخطأ أخرى ^(٧) وأن السحر أثر فيه حتى خيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله واستمر الحال إلى سنة ^(٨) .

(١) الاحتجاج للطبرسي ص ٢٤٧ طبع النجف في احتجاج الخوادم على يحيى ابن أكنم .

(٢) معيد النعم ص ٧٤ ، باب ٤٦ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج ١ ، ص ١٩٧ ترجمة أحمد بن صالح المصري .

(٤) معجم الأدباء ج ١٦ ، ص ١٦٢ ترجمة عيسى بن داب .

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ، ص ٣٦٣ .

(٦) صحيح البخاري في باب ما جاء في سجود السهو ، وفي فتح الباري ج ٣ ، ص ٦٠ ذكر حديث ذي اليمدين في السهو النبي ، وذكره القاضي عياض في الشفا باب عصمة أقواله .

(٧) شرح الشفا للخفاجي ج ٤ ، ص ٢٥٦ وعمدة القاري شرح البخاري ج ١ ، ص ٥٧٧ باب كتابة العلم ، وجلاء العينين للألوسي ص ٢٦٨ .

(٨) المغني لابن قدامة الحنبلي ج ٨ ، ص ١٥٠ ، والبخاري كتاب الطب ، وإرشاد الساري شرح البخاري ج ٨ ، ص ٤٠٣ ، والزواجر لابن حجر ، ج ٢ ، ص ٨٢ .



إذاً فمن أين تبصر الأجيال المستقبلية الحوادث الصحيحة لتسير على ضوء هدى العظماء الذين لا يخضعون للدينه ويذلون في تحصيل السعادة كل غال ورخيص .

ومن هنا أظلم الطريق ولم يهتد الباحث إلى الصحيح في نسب (الرباب) زوجة الحسين (ع) والقصة التي يحكيها أبو الفرج الأصفهاني في مقال الطالبين بترجمة عبد الله بن الحسين عن مجاهد عن محمد بن السائب الكلبي لا تأخذ بنا إلى جهة نيرة ، فإن القارئ لا يشك في تسطيرها على غير الواقع لغاية الحط من مقام أمير المؤمنين الذي يقول كنت أتبع رسول الله اتبع الفصيل أثر أمه يرفع لي كل يوم علماً من أخلاقه ويأمرني بالاعتداء به أرى نور الوحي وأشم ريح النبوة ^(١) .

فإن الأخلاق الحميدة التي تحلى بها صاحب الخلافة الكبرى تتنافى مع الأسطورة التي يقصها مجاهد وابن الكلبي مع أن علماء الرجال تكلموا في مجاهد ولم يقبل جملة منهم مروياته ومحمد بن هشام بن السائب الكلبي مجهول الحال عند علماء الشيعة ، ولم يعتمد عليه علماء السنة ^(٢) فما يتحدثان عنه في قصة زواج الحسين منها يرمى به عرض الجدار ولم يخف افتعالها على من يقرأها بروية .

ونصها المسطور في مقاتل الطالبين بترجمة عبد الله بن الحسين (ع) أن رجلاً دخل المسجد أيام خلافة عمر بن الخطاب فحياه بتحية الإسلام وسأله عمر عن اسمه ، فقال : أنا نصراني أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي ، وعرض عليه عمر الإسلام فأسلم وعقد له على من

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٤١٧ من خطبته الفاصلة .

(٢) راجع عنهما تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ١٠ ، ص ٤٢ ، وج ٩ ، ص ١٧٨ .

أسلم بالشام من قضاة ، ولما حمل اللواء وأدبر تبعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعه ابنه حسن وحسين ، فقال له : أنا ابن عم رسول الله وصهره وهذان ابناي وقد رغبتنا في صهرك فأنكحنا ، فقال : أنكحتك يا علي ابنتي المحيطة وأنكحت الحسن اختها سلمى وأنكحت الحسين اختها الرباب .

وهذه القصة لا مساس لها بالواقع فإن الإمامان في شخصية أمير المؤمنين المتحلية بأخلاق الشريعة والعادات المألوفة يفيدنا الجزم بمنافاة إسراعه في المصاهرة من هذا النصرائي الذي هو جديد عهد بالإسلام والمسلمين ، وكل أحد إذا راجع وجدانه يجد منه الإنكار على من يرتكب مثل هذا الذي لا يتفق مع الآداب العرفية ، حتى لو كان سوقة فضلاً عما هو مؤهل للزعامة الكبرى وفرضه المولى سبحانه وتعالى خليفة على البشر عامة بعد النبوة ، وحاشا مثل أمير المؤمنين أن يكون مقهوراً لحكم الشهوة وتخفزه الغريزة الجنسية إلى ما تتنفر منه العامة والخاصة .

ومما يبعد القصة إهمالها اختيار رأي البنات في الرضا والعدم كما أنها لم تعين المهر مع أن الشريعة المقدسة قررت اختيار الزوجة في الرضا بالزوج ومعرفة الزوجة بالمهر لازم والالتزام بفضولية العقد ووقوفه على الإجازة ، وأن لها مهر أمثالها لو لم يسم الصداق إنما يتم مع فرض التنازل إلى التسليم بمسارعة أمير المؤمنين وخوف فوات هذا (الكنز) منه لو لم يبادر إلى مذاكرة الرجل في بناته .

على أنا معشر الإمامية نلتزم بأن الله تعالى مكن الإمام الحجة المؤهل للرياسة العامة من العلم الواسع لقطع شبه المعاندين أو لتركيز عقائد المتبعين للحق وعليه فأمر المؤمنين على يقين من أن بنات هذا الرجل لا يغلبه عليهن أحد لو انتظر الفرصة المناسبة .



لكن الأحقاد أبت إلا أن تشوه مقام (ولي الله) وتسجل على سيد الأوصياء (ع) ما تتقزز منه النفوس لعل أن يوجد في الأجيال من يتقبل هذه الأكذوبة فينحاز عنه ، وقد أصاب واضعها الغرض فقد آمن بها من لا خبرة له بمكانة (باب مدينة علم الرسول) المتحلي بأخلاقه الكريمة .

وهناك شيء آخر وهو بقاء الرباب حائلاً عند الحسين أكثر من عشرين سنة ، فإن التزويج منها كان في خلافة عمر بن الخطاب ولا أقل من التقدير بآخر أيامه فإنه قتل ٢٥ سنة وولادة سكينه على أقل التقدير في سنة ٤٧ فتكون يوم الطف ابنة ١٣ سنة والعادة تبعد بقاءها حائلاً هذه المدة الطويلة ، وإذا كان الزواج في أوائل خلافته تكون المسافة أبعد .

وعلى هذا فلا حجة واضحة تأخذ بنا إلى الإيمان بهذه الأسطورة مع أن ابن كثير في البداية ج ٨ ، ص ٢١٧ يسمى أباه (أنيف) ولم ينسبه إلى أحد ولم يذكر هذه الأسطورة .

وعلى كل حال فالرباب من خيرات النساء وأفضلهن جاء بها الحسين مع حرمة إلى الطف وحملت معهن إلى الكوفة والشام ورجعت مع الحرم إلى المدينة فأقامت فيها لا تهدأ ليلاً ولا نهاراً من البكاء على الحسين ولم تستظل تحت سقف حتى ماتت بعد قتله بسنة كمداً^(١) .

وليس بصحيح ما قيل : إنها أقامت على قبر الحسين سنة^(٢) تنوح الليل والنهار وذلك بعد الرجوع من الشام ومروهم بكربلاء

(١) كامل ابن الأثير ج ٤ ، ص ٣٦ .

(٢) ابن الأثير .

فإن العقيلة زينب الكبرى هي المتكفلة بجياطة الحرم وحفظهم وكلاءهم فلا تستطيع أن تفارقها بتلك البيداء المقفرة من دون عاطف ولا متحنن وهي امرأة عزلاء لا حامي لها ولا كفيل .

وكيف كان ففي تلك السنة التي عاشت فيها خطبها الأشراف فأبت ، وقالت : ما كنت لأتخذ حمماً بعد رسول الله (ص) ^(١) .

وحق لها إذا امتنعت من التزويج فإنها لا ترى أي أحد يوازي سيد شباب أهل الجنة لتحظى به أو أن هناك من يباري من هو من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى (ع) لتفوز بمصاهرته :

من يباريهم وفي الشمس معنى	مجهود متعب لمن بارها
قادة علمهم ورأي حجاهم	مسمعا كل حكمة منظرها
ورثوا من محمد سبق أولا	ها وحازوا ما لم تحز أخرها
وهم الأعين الصحيحات تهدي	كل عين مكفوفة عينها
كم لهم ألسن عن الله تنبي	هي أقلام حكمة قد براها
لم يكونوا للعرش إلا كنوزاً	خافيات سبحان من أبداه ^(٢)

على أن الرواية جاءت عن أمامة بنت زينب ربيبة رسول الله (ص) ، وكانت في عداد أزواج أمير المؤمنين عنه (ع) أن أزواج النبي (ص) والوصي (ع) لا يتزوجن بعده فلم تتزوج امرأة ولا أم ولد بعد أمير المؤمنين عملاً بهذا الحديث ^(٣) .

(١) تذكرة الخواص ص ١٥٠ ، وابن الأثير ج ٤ ، ص ٣٦ ، والأغاني ج ١٤ ، ص ١٥٨ .

(٢) من ألفية ملا كاظم الأري .

(٣) المجلسي في البحار ج ٩ ، ص ٦٢١ عن قوت القلوب .

والرياب هذه هي التي طلبت رأس الحسين من ابن زياد فلما
 رآته أخذته ووضعتة في حجرها وقبلته وقالت (١) :
 وا حسينا فلا نسيت حسيناً أقصده أسنة الأعداء
 غادروه بكريلاء صريعاً لا سقى الله جانبي كريلاء
 وهذان البيتان وراهما ياقوت في معجم البلدان ج ٧ . ص ٢٢٩
 لعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل في رثاء الحسين ، وادعى أنها
 زوجته وكان عجز البيت الثاني في روايته :

(لا سقى الغيث بعده كريلاء)

ولانفراده بهذا عما عليه أهل النسب والتراجم والسير من عدم
 عدها في أزواج السبط الشهيد لا يؤبه به .
 وكان من رثاء الرياب لسيد الشهداء (ع) :
 إن الذي كان نوراً يستضاء به سبط النبي جزاك الله صالحة
 بكريلاء قتيل غير مدفون قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به
 عنا وجنبت خسران الموازين من لليتامى ومن للسائلين ومن
 وكنت تصحبنا بالرحم والدين يغني ويؤوي إليه كل مسكين
 حتى أغيب بين الرمل والطين والله لا أبتغي صهراً بصهركم
 ولما رجعت من الشام أقامت المأتم على الحسين وبكت النساء
 معها حتى جفت دموعهن :

(١) تذكرة الخواص ص ١٤٧ ، وتاريخ القرمان ص ٤ .

تنعى ليوث البأس من فتياها وغيوثها إن عمت البأساء
تبكيهم بدم فقل بالمهجة الحرى تسيل العبرة الحمراء
ناحت فلما غضضت من صوتها بزفيرها أنفاسها الصعداء
حنت ولكن الحنين بكى وقد ناحت ولكن نوحها إيماء
ولما أعلمتها بعض جواربها بأن السويق يسيل الدمعة أمرت أن
يصنع السويق ، وقالت إنما نريد أن نقوى على البكاء ^(١) .

ويقول ابن كثير توفيت الرباب بنت أنيف امرأة الحسين بن علي
(ع) في سنة ٦٢ وكانت حاضرة أهل العراق إذ هم يعدون في السبت
أو الجمعة على زوجها الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ^(٢) .

ولدت الرباب من الحسين (ع) سكية وعبد الله فأما عبد الله
فقتل رضيعاً في حجر أبيه يوم الطف وذلك لما قتل أهل بيته وصحبه
وبقي وحده استسلم للقضاء الإلهي بذبحه مظلوماً ممنوعاً من
الورود .

وجاء إلى عياله يودعهم ويأمرهم بلبس الأزر والصبر على ما
يحل بهم من البلاء وعرفهم بأن الله تعالى يجعل عاقبة أمرهم إلى
خير ويعذب عدوهم بأنواع العذاب .

ثم دعا بولده الرضيع يودعه فأتته زينب بابنه عبد الله فأجلسه
في حجره يودعه ويقبله ^(٣) ويقول :

بعداً هؤلاء القوم إذا كان جدك المصطفى خصمهم ^(٤) .

(١) البحار للمجلسي ج ١٠ ، ص ٢٣٥ عن الكافي .

(٢) البداية ج ٨ ، ص ٢١٧ .

(٣) اللهوف ص ٦٥ .

(٤) البحار ج ١٠ ، ص ١٠٣ .

ثم أتى به نحو القوم يطلب له الماء فرماه حرملة بسهم وذبحه
فتلقى الحسين الدم بكفه ورمى به نحو السماء فلم يسقط منه
قطرة ^(١) .

وقال هون ما نزل بي أنه بعين الله ^(٢) اللهم لا يكون أهون
عليك من فصيل إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو
خير منه وانتقم لنا من الظالمين ^(٣) واجعل ما حل بنا في العاجل
ذخيرة لنا في الآجل ^(٤) اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس
برسولك محمد (ص) ^(٥) وسمع (ع) قائلاً يقول : دعه يا حسين فإن
له مرضعاً في الجنة ^(٦) .

ثم نزل عن فرسه وحفر له بجفن سيفه ودفنه مرملاً بدمه ^(٧) .

ويقال إنه وضعه مع قتلى أهل بيت ^(٨) .

وأما سكينة فقد ذكر المؤرخون أنه لقب لها من أمها الرباب ^(٩)

(١) حديث الإمام الباقر (ع) وزيارة الناحية التي يقول فيها حجة آل محمد
(ع) : السلام على عبد الله الرضيع المرمي الصريع المصعد بدمه إلى السما
المذبوح في حجر أبيه ، لعن الله رامي حرملة بن كاهل الأسدي وذويه .

(٢) ابن شهر آشوب ج ٢ . ص ٢٢٢ .

(٣) ابن نما ص ٣٦ .

(٤) نظلم الزهراء ص ١٢٢ .

(٥) المنتخب .

(٦) تذكرة الخواص ص ١٤٤ ، والقمقام لميرزا فرهاد ص ٣٨٥ .

(٧) احتجاج الطبرسي ص ١٦٣ ط النجف .

(٨) إرشاد المفيد وابن نما ص ٣٧ .

(٩) ابن خلكان في الوفيات بترجمتها وشذرات الذهب ج ١ ، ص ١٥٤ ، ونور
الأبصار ص ١٥٧ .



وكأنه لسكونها وهبوطها وعليه فالمناسب فتح السين المهملة وكسر الكاف التي بعدها لا كما يجري على الألسن من ضم السين وفتح الكاف وهذا الرأي نسبته الصبان إلى المشهور فإنه قال :

المشهور على الألسنة في اسمها أنه مكبر بفتح السين وكسر الكاف ^(١) .

والمحكي عن شرح أسماء رجال المشكاة أنه مصغر بضم السين وفتح الكاف ومثله في القاموس .

وأما اسمها فالذي اختاره ابن تغري بردي أنه آمنة ^(٢) ورواية أبي إسحاق المالكي تؤكد أنه فإن فيها قول سكية :

إنكم سميتوني باسم جدتي أم رسول الله (ص) آمنة بنت وهب .

ويحكي أبو الفرج القول بأنه أمينة وأميمة .

ولم يتضح لنا سنة ولادتها ولا مقدار عمرها وإن أمكننا القول بأنها قاربت السبعين بعد ملاحظة سنة وفاتها وكونها يوم الطف بالغة مبلغ النساء ولا أقل من التقدير بالعشرة . وذكرنا ولادتها سنة ٤٧ .

كما صح لنا ولادتها بالمدينة ووفاتها فيها ^(٣) يوم الخميس

(١) اسعاف الراغبين بhamش نور الأبصار ص ٢٠٢ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(٣) تهذيب الأسماء للنووي ج ١ ، ص ١٦٣ ومعاف ابن قتيبة وتذكرة الخواص وابن خلكان بترجمتها والكواكب الدرية للمناوي ج ١ ص ٥٨ .

لخمس خلون من ربيع الأول ^(١) في سنة ١١٧ ^(٢) .

وقيل : توفيت بمكة في طريق العمرة ، كما قيل رجعت إلى الشام وقبرها هنالك ^(٣) ويذكر يوسف بن الحسن بن عبد الهادي المتوفي سنة ٩٠٩ أن في دمشق مسجداً يعرف بمسجد سكيئة قرب قبر بلال ^(٤) ، ويصفه المعلق على الكتاب بأنه يقع في مقبرة باب الصغير إلى جانب الضريحين ضريح السيدة أم كلثوم الصغرى بنت علي بن أبي طالب وضريح السيدة سكيئة ، ويذهب الشعراي إلى وفاتها بمراغة من أرض مصر وقبرها بالقرب من السيدة نفيسة ^(٥) .

وحكى ياقوت في معجم البلدان ج ٦ . ص ٢٦ أن أهل طبرية يزعمون أن بظاهرها قبر سكيئة بنت الحسين . قال : والحق أنه بالمدينة . وفي نور الأبصار للشبلنجي ص ١٦٠ توفيت بمكة .

وحيث إن أكثر المؤرخين على أن قبرها بالمدينة فهو بالصحة أجدر ، وقد حكى الصبان عن ممن الشعراي إنكار قبر سكيئة بنت الحسين بمصر زاعماً أن ذلك قبر سكيئة بنت علي بن أبي طالب . (ع) .

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان بترجمتها والكواكب الدرية للمناوي ج ١ ، ص ٥٨ ، وتهذيب الأسماء للنووي ج ١ ، ص ١٦٣ بترجمة الحسين ، ونور الأبصار للشبلنجي ص ١٦٠ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٨ ، ص ٢٢٨ ، وابن الأثير ج ٥ ، ص ٧١ ، وابن خلكان في الوفيات ، والنووي في تهذيب الأسماء ج ١ ، ص ١٦٣ ، وابن العماد في شذرات الذهب ج ١ ، ص ١٥٤ ، والياضي في مرآة الجنان .

(٣) تهذيب الأسماء للنووي ج ١ ، ص ١٦٣ .

(٤) ثمار المقاصد في ذكر المساجد ص ١٠٦ .

(٥) لوائح الأنوار ج ١ ، ص ٢٣ .



وإذا عرفت أن أهل النسب والتراجم لم يذكروا في أولاد أمير المؤمنين سكينه تعرف بطلان تلك النسبة .

وقد عاصرت من المعصومين أباهما الشهيد وأخاهما الإمام زين العابدين والإمام الباقر وأدركت أيام الصادق (ع) .

وكانت أيام أبيها بالغة مبلغ النساء كما يشهد به قول الحسين للحسن المثنى يوم جاء يخطب منه ، فقال : اختر إحدى ابنتي هاتين فاطمة وسكينه وكانت فاطمة أكبر منها .

ثم قال له الحسين (ع) : اخترت لك فاطمة فهي أكثرها شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله (ص) أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار وفي الجمال تشبه الحور العين .

وأما سكينه فغالب عليها الاستغراق مع الله لا تصلح لرجل ولو لم تكن بالسن القابل لمقارنة الأزواج لاعتذر به الإمام عليه السلام وقد عرفت ما تشير إليه كلمته الغالية في حق ابنته الكريمة .

كما عرفت كلمات المؤرخين الناصية على تزويج سكينه من ابن عمها عبد الله الأكبر بن الإمام الحسن بن أمير المؤمنين المقتول يوم الطف مبارزة وهو أخو القاسم لأبيه وأمه رملة ، فكان أبا عذرتها كما في المحبر لابن حبيب ص ٤٣٨ .

ولا يفوت القارئ ما اتفق عليه المؤرخون وأهل النسب والتراجم من أنه لم يكن للحسين من البنات غير فاطمة وسكينه وهما المتزوجتان بابني عمهما الحسن السبط (ع) وأما غيرهما المذكور فعلى ذمة التأريخ .

ومن هنا ينكشف عدم صحة القول بتزويج القاسم من سكينه



لعدم الشاهد له ، ولأن القاسم يومئذ لم يدرك الحلم كما نص عليه أهل المقاتل .

كما لا يفوتنا ما اختصها به أبوها الشهيد بمزيد العناية وعطف عليها عطفاً ينم عن منزلتها الكبرى عنده ، وأنه على شرف النسبة قد تحلت بنفسية فاضلة وازدانت بخيم كريم وفضيلة رابية ، ومن ذلك قوله (ع) مسلياً لما رآها منحازة عن النساء تبكي ساعة الوداع يوم الطف ووصفها بخيرة النساء فقال :

سيطول بعدي يا سكينه فاعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقني قلبي بدمعك حسرة ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان
والجمع يقتضي عموم التفضيل على من سواها إلا من أخرجها الدليل كالصديقة والعقيلة وأضرابهما .

ثم إنه (ع) حملها الوصية إلى شيعته بالبكاء عليه ، وذكر عطشه عند شربهم الماء .

قالت : لما مر القوم بالنسوة على القتلى رميت بنفسي على جسد أبي اعتنقته فسمعت صوتاً يخرج من منحره المقدس ^(١) :

شيعتي ما إن شريتم عذب ماء فاذا كروني
أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني
قد يستغرب القارئ هذا الكلام من جسد فارقتة الحياة كما

(١) المصباح ص ٣٧٦ طبع الهند للشيخ إبراهيم الكفعمي من علماء القرن التاسع .

يتباعد عن الإذعان بكلام رأس الحسين (ع) في شوارع الكوفة والشام وفي مجلس يزيد لما أمر بقتل رسول ملك الروم لانكاره فعلته التي لم يرتكبها حتى من لم ينتحل دين الإسلام فنطق الرأس بصوت جهوري (لا حول ولا قوة إلا بالله) ولكن ما أسرع أن يتراجع إلى التصديق به حينما يستضيء بتفكيره إلى فعل القدرة الإلهية بالممكنات حسبما تستدعيه المصالح ، كما كانت (الشجرة) في الوادي المقدس تلقي التعاليم الإلهية على الكلیم موسى بن عمران وأخبرت الذراع المسمومة خاتم الأنبياء (ص) يوم خير فامتنع النبي (ص) ومن معه من أكلها^(١) ، إذأ فلا غرابة في تمكين الإرادة الربانية ، رأس الحسين (ع) المنحور طاعة لله تعالى من قراءة القرآن لأنه أبلغ في توطيد أسس النهضة الكريمة ، وفيه تركيز العقائد على أحقية دعوته وشهادته ووخامة عاقبة من مد إليه يد العدوان .

ولئن يتحدث البخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرة في أن الله تعالى أودع قوة الحركة في الحجر الصلد فذهب بشياب نبیه موسى بن عمران لغاية تعريف الإسرائيلین نزاهة بنیه من العاهة ويتقبلها شراح البخاري ومسلم من دون تعقيب^(٢) وإن كانت المؤاخذه عليهم واضحة فالإيمان بالمتواتر من الآثار الحاكية كلام رأس الحسين لتعريف أولئك المغمورين بالأطماع ، ومن يأتي من الأجيال بالتواء

(١) في شرح الزرقاني المالكي على المواهب اللدنية لابن حجر ج ٢ ، ص ٢٤٢ غزوة خير أن هذا الإخبار من الذراع هل هو بكلام يخلق فيه أو صوت يحدثه الله كما في الشجر والحجر بلا حياة أو مع الحياة قولان في الشفا .

(٢) صحيح البخاري كتاب الغسل باب من اغتسل عرياناً ، وصحيح مسلم باب فضائل موسى ، ومسنند أحمد ج ٢ ، ص ٣١٥ .

الأمراء المتغلبين على الخلافة عن صراط العدل وترددتهم في الضلال (أجدر وأولى) ، لأن نهضة سيد الشهداء إنما هي لإحياء الدين الذي لاقى المتاعب في تشييده جده المنقذ الأكبر ، وقد أخبر النبي (ص) عن هذه النهضة بقوله : (حسين مني وأنا من حسين) ^(١) فإنه لم يقصد بهذا التنزيل التعريف بأن الحسين بضعة منه لما فيه من الركابة التي يأبها كلام سيد البلغاء ، لأن كل ولد بضعة من أبيه ، وإنما أراد التنبيه بأن نهضة الحسين أثبتت توطيد أسس الإسلام وكسحت أشواك الباطل عن صراط شريعة العدل ، فالنبي (ص) فاتح الدعوة ، والحسين ناهض لتركيزها وتثبيت دعائمها ، فإيداع قوة الكلام في الرأس المقدس أو منحره الأطهر أولى من الحجر والشجرة ، وذراع الشاة المسمومة .

في مثل هذه الكرامات التي تتحدث بها الشيعة عن أئمتهم المجعولين من الله تعالى خلفاء على الأمة بعد انقضاء الرسالة اعتماداً على أحاديث صحت لديهم يتقزز منها غيرهم ويتحامل عليهم باسم البدعة والغلو ولكنه يثبت لعلمائهم أمثالها غافلاً عن ورود نفس الأشكال عليه .

فيقول اليافعي الحنبلي : لما ورد أبو إسحاق الشيرازي بلاد العجم أقبل الناس عليه يتبركون بثيابه ، ويأخذون التراب من تحت

(١) رواه من علماء الإمامية ابن قولويه المتوفى سنة ٣٦٩ في كامل الزيارات ص ٥٣ ، ومن علماء السنة الترمذي في سننه كما في شرحه لابن العربي ج ١٣ ، ص ١٩٥ مناقب الحسين ، والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٣١٤ ، وابن حجر في مجمع الزوائد ج ٩ ، ص ١٨١ ، والهندي في كنز العمال ج ٧ ، ص ١٠٧ والصفوري في نزهة المجالس ص ٤٧٨ مناقب الحسين .

نعله للاستشفاء^(١) ويقول في سنة ٧٢٥ زادت دجلة حتى حربت مقبرة أحمد بن حنبل وصار الماء في دهليز البيت الذي فيه قبره علو ذراع ووقف بإذن الله تعالى عند باب الحجرة^(٢) . ويقول السبكي الشافعي : لما أمر الواثق العباسي ، بقطع رأس أحمد بن نصر الخزاعي في مسألة خلق القرآن كان الرأس يتكلم بالقرآن إلى أن أنزل الجسد ودفن معه^(٣) ، ويقول : سافر إسماعيل الحضرمي مع خادمه وأشرفت الشمس على الغروب ، فقال لخادمه : قل لها فلتقف حتى نصل المنزل ونصلي العصر ، فأمرها الخادم بالوقوف فوقفت الشمس حتى وصلوا المنزل وصلوا ولم تغرب ، فقال لخادمه : أما تطلق هذا المحبوس فيأمرها الخادم بالغروب ، فتغيب ويظلم الأفق ثم يقول هذا الخبر من المستفيض^(٤) وما أدري ولا المنجم يدري ، لماذا لم يصل في الطريق وإن لم يكن عنده ماء فالتيمم أحد الطهورين .

ويحدث شيخ أحمد حجازي الفشني أن محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح لما دفن أقبل الناس يأخذون التراب من القبر للتبرك حتى صارت حفرة عظيمة فوضع الخشبة على القبر فأخذ الناس التراب من حوله^(٥) .

نحن لا نضايقهم في أمثال هذا مما لو سجلناه لخرجنا عن وضع الرسالة ولا ننكر عليهم اعتقادهم بها ولكننا نقول لماذا يرمون

(١) مرآة الجنان ج ٣ ص ١١٣ حوادث سنة ٤٧٦ .

(٢) مرآة الجنان ج ٤ ، ص ٢٧٣ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج ١ ، ص ٢١٥ .

(٤) طبقات الشافعية ج ٥ ، ص ٥١ والفتاوى الحديثية لابن حجر ص ٢٢٦ .

(٥) تحفة الاخوان ص ١١ .

الشيعة بالكذب والبدعة والخيانة ، ورواية المناكير إذا رأوهم يؤمنون بما تفيده الآثار المتواترة في فضائل أهل البيت ويتحدثون عن كلام رأس الحسين والاستشفاء بتربته ووقوف الماء عند قبره لما أمر المتوكل العباس بحرث القبر وإرسال الماء عليه زعماً منه أنه يطفئ نور الله » وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا علواً » . على حد تعبير رسول الله (ص) ^(١) .

على أن البدعة الممقوت صاحبها ولا تقال عثرتها فيما إذا أدخل في الدين ما ليس منه لأنه تهجم على الشريعة وتحكم على التكليف الإلهية كما أشار إليه صاحب الدعوة .
(كل بدعة ضلالة) ^(٢) وأما الاعتقاد بشيء عن أثر وارد فيه فليس من البدعة ولا يرمي صاحبه بالكذب والغلو .

(١) كامل الزيارات ص ٢٦١ .

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ج ٢ ، ص ٦٧ باب الصلاة في الثوب المغصوب والفتاوى الحديشية لابن حجر ص ٢٠٠ .



حديثها في فضل الشيعة

روى محمد جعفر بن أحمد بن علي القمي نزيل الري في كتاب المسلسلات ص ١٠٨ بسنده المفصل إلى بكير بن أحنف وعنه يحدث العلامة المجلسي في البحار ج ١٥ . ص ١٢٢ في باب فضائل الشيعة .

قال : حدثني فاطمة بنت الإمام علي بن موسى الرضا قالت :
حدثني فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر قلن : حدثنا فاطمة بنت جعفر بن محمد قالت : حدثني فاطمة بنت محمد بن علي قالت : حدثني فاطمة بنت علي بن الحسين قالت : حدثني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي عن أم كلثوم بنت علي عن فاطمة بنت رسول الله (ص) قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول :
« لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من درة بيضاء مخوفة وعليه باب مكلل بالدر والياقوت وعلى الباب ستر فرفعت رأسي فإذا مكتوب :
لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي القوم .
ومكتوب على الستر :



بخ بخ مثل شيعة عليّ .
فدخلته فإذا أنا بقصر من عقيق مجوف وعليه باب من فضة
فرفعت رأسي وإذا مكتوب على الباب .
محمد رسول الله علي وصي المصطفى .
وعلى الستر مكتوب :
بشر شيعة علي بطيب المولد .
فدخلته ورأيت قصرًا من زبرجد لم أر أحسن منه وعليه باب
من ياقوتة حمراء مكللة باللؤلؤ وعلى الباب ستر فرفعت الستر وإذا
مكتوب عليه :
شيعة علي هم الفائزون .
فقلت لجبرئيل « لمن هذا » ؟ قال : يا محمد إنه لابن عمك
ووصيك علي بن أبي طالب يحشر الناس كلهم يوم القيامة حفاة
عراة إلا شيعة علي ويدعى الناس بأسماء أمهاتهم ما خلا شيعة علي
فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لأنهم أحبوا علياً فطاب مولدهم .
وقد ورد هذا المضمون في أحاديث أهل البيت متواتراً كما جاء
عنهم :
إن شيعة علي وأبنائه المعصومين يحشرون آمنه روعاتهم مستورة
عوراتهم فيود الخلائق يومئذ أنهم كانوا فاطميين .
والمراد من ستر العورة إما بالنور الساطع منهم فيغشي الأبصار
عن النظر إليهم ، كما يرشد إليه في معالم الزلفى ص ١٤٢ من
حديث فاطمة (ع) قالت لأبيها (ص) :



كيف يكون الناس يوم القيامة ؟

فقال النبي (ص) : « إنهم يشغلون بأنفسهم فلا ينظر أحد إلى أحد ولا والد إلى ولده ولا ولد إلى أمه » .

فقالت (ع) : هل يكون أكفان إذا خرجوا من قبورهم ، قال (ص) : « يا فاطمة تبلى الأكفان وتبقى الأبدان تستر عورة المؤمن وتبدو عورة الكافر » .

قالت : يا أبة ما يستر عورة المؤمن ؟

فقال (ص) : « نور يتلألأ لا يبصرون أجسادهم من النور » .

وهناك حديث آخر رواه في معالم الزلفى عن الكليني والشيخ الطوسي عن أبي خديجة عن الصادق (ع) : أن الستر يكون بالأكفان فكان (ع) يقول :

تأنقوا في الأكفان فإنكم تبعثون بها .

وفي احتجاج الطبرسي قال الزنديق للصادق :

كيف يحشر الناس بالأكفان وقد بليت ؟

فقال (ع) :

إن الذي أحى أبدانهم وقد بليت يجدد أكفانهم ، ومن مات بلا كفن ستر الله عورته .





rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

رثاؤها الحسين (ع)

في أمالي الزجاج (ص ١٠٩ ط مصر ثانية) ، مما رثت به سكينه
أباها الشهيد قولها :

لا تعذليه فهم قاطع طرقه	فعينه بدموع ذرف غدقه
إن الحسين غداة الطف يرشقه	ريب المنون فما إن يخطئ الحدقه
بكف شرّ عباد الله كلهم	نسل البغايا وجيش المرقّ الفسقه
أمة السوء هاتوا ما احتجاجكم	غداً وجلكم بالسيف قد صفقه
الويل حلّ بكم إلا بمن لحقه	صيرتموه لأرماح العدى درقه
يا عين فاحتفلي طول الحياة دماً	لا تبكي ولدًا ولا أهلاً ولا رفقه
لكن على ابن رسول الله فانسكي	قيحاً ودماً وفي إثريهما العلقه

هذا آخر ما ساغ لنا إثباته في هذه الرسالة والحمد لله رب
العالمين وشكراً له على ما قدره وأمضاه في ذرية نبيه الأقدس وعترته
الأكرمين ونعم الحكم الله تعالى والزعيم محمد (ص) والموعود القيامة
هناك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون ولعنة الله
على أعدائهم أجمعين .





rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	Error! Bookmark not defined.
المدخل : ذرية الرسول	Error! Bookmark not defined.
الخلاصة	Error! Bookmark not defined.
سكينة مع الله تعالى	Error! Bookmark not defined.
الوضاعون	Error! Bookmark not defined.
أول من وضع الحديث	Error! Bookmark not defined.
أبو الفرج	Error! Bookmark not defined.
نظرة الدكتور زكي مبارك في الأغاني	٦٥
رجال الأغاني	٧١
سكينة من ذوي القربى	٧٧
سكينة إلى كربلاء	٧٩
الغناء تحت الحكم	٨٥
الشعراء	٩١
بيت الضيافة	٩٥
شعر عمر بن أبي ربيعة	١٠١
سكينة بنت الزبير	١٠٣
حديث الصورين	١٠٥



١٠٩	حديث الأزواج
١١٩	حديث البيتین
١٢٣	نظرة إجمالية
١٣١	الرباب
١٤٩	حديثها في فضل الشيعة
١٥٣	رثاؤها الحسين (ع)

